

الفصل الثالث

محاورات طور الاستقلال والتجديد

obeykandi.com

أولاً : فى الفلسفة

On Philosophy

obeykandi.com

فى الفلسفة

On Philosophy

كتب أرسطو محاوره فى الفلسفة وهو فى قمة نضوجه الفكرى والفلسفى ، ولذلك تبدو آراء أرسطو المذهبية واضحة تماما ومستقلة عن آراء أستاذه أفلاطون بل وأحيانا متعارضة ، ومن جملة ما تتميز به هذه المحاوره عن مثيلاتها أن نجد أرسطو هو المتحدث بشكل صريح فيها ، كما أنه أيضا لأول مرة يوجه الانتقاد إلى آراء أفلاطون المذهبية .
..... فى الكتاب الثالث من عمل أرسطو فى الفلسفة ^١ .

تمهيد

لقد استخلصنا موادنا ووضعناها معا من عمل أفلاطون ثيمايوس .. ومن أعمال أرسطو ؛ الطبيعة ، والسماء ، والكون والفساد ، والآثار العلوية ، والنوم ، ومما كتبه على شكل محاوره فى الفلسفة وعن العالم ^٢ .

عن المبادئ الأولى يقول أرسطو : إننا قد تحدثنا بشأنها فى عملنا عن الطبيعة ، وواعد أن يتحدث عن هذه الأمور فى الكتاب a (فى عمله ما بعد الطبيعة) وأن يطرح المشكلات بشأنها ويحلها فى العمل فى الفلسفة ^٣ .

- ١ -

من بين النقوش فى معبد دلفى التى كان يعتقد أنها أكثر الهاما نقش " اعرف نفسك " . إن هذا كما قال أرسطو فى أعماله الأفلاطونية (المحاورات) هو الذى أحدث فى سقراط هذه المزاجية من الشك والارتياب ^٤ .

¹ Ross, the Works of Aristotle, XII, P.78.

² Ibid, P.78.

³ Ibid, P.78.

⁴ Plutarch, Moralia, XIV, P.257; And See Also : Ross, Op.Cit, p.78.

يقول أرسطو إن سقراط ذهب إلى دلفى ، كما ذهب أيضا إلى استموس Isthmus ، وذلك برواية فافورينوس Favorinus في الكتاب الأول من عمله Memoirs^١.

ما ولمن الأمر المقدس فى دلفى ، والذي يأمر من يلتمس أى شىء من الإله كى يعرف نفسه؟ سواء كان فيمونوى phemonoe أو فانوثيا Phanothea .. أو بياز Bias أو طاليس أو شيلون Chilon هو الذى وضعه .. أو ما إذا كان ينبغى علينا أن ننسبه إلى كليرخوس Clearchus الذى قال إن الأمر كان للكهنة البثينى وقد صدر إلى شيلون عندما استفسر عن أفضل ما يمكن أن يتعلمه الرجال ؛ أو ما إذا كان قد نقش بالفعل قبل عصر شيلون فى المعبد الذى تأسس بعد معبد الريش ومعبد البرونز ؛ كما قال ذلك أرسطو فى عمله فى الفلسفة^٢.

لقد نسب البعض مقولة " اعرف نفسك " إلى شيلون ، بينما ينسبها شامليون Chameleon فى عمله عن الآلهة إلى طاليس بينما ينسبها أرسطو إلى كاهنة بيثيا^٣.

مرة أخرى تنسب مقولة " لا شىء فى زيادة إلى تشيلون اللاكيدامونى .. ووردت مقولة "ارتهن نفسك ينتظرك الدمار " على لسان كلومينيس فى عمله عن هزيود ، بينما تنسبها الرواية الأرسطية إلى شيلون بينما ينسب ديديموس Didymus النصيحة إلى طاليس^٤.

الإنسان الكامل هو الذى يمارس السفسطة ؛ ولكن أرسطو يستخدمها للحكام السبعة^٥.

^١ Diogenes Laertius, Lives of Eminent Philosophers, 1, P. 155; And See Also : Ross, Op. Cit. p. 78.

^٢ Ross, Op. Cit. pp. 78, 79.

^٣ Ibid, P. 79.

^٤ Ibid, P. 79.

^٥ Ibid, P. 79.

الرجال الذين كانوا يعرفون بالحكام هم " طاليس وصولون وبيرياندر Periander وكليوبولس Cleabulus وشليون وبياز وبتاكوس . وقد أضيف إلى هؤلاء أنخارسس Anacharsis السثيانى وميسون الخيوسى وغيرهم

See : Diogenes Laertius, Op. Cit, P. 15.

يقول أرسطو في كتابه الأول من عمله في الفلسفة إن المجوس أكثر قدما من المصريين ، وأنه استناداً إليهم يوجد مبدآن أولان ، روح طيبة وروح شريرة ، إحداهما تسمى زيوس Zeus وأوروما سديس Dromasdes والثانية هاديس Hades وأريمانئوس Areimanius^١.

مما لا شك فيه أن فن السحر قد بدأه زرادشت في فارس ، وقد اتفقت المصادر على ذلك ، ولكن ليس من الواضح تماماً إذا ما كان يوجد زرادشت واحد أم أنه يوجد زرادشت آخر . يروى يدوكسوس Eudoxus الذى يزعم أن الزرادشتية أكثر الطوائف الفلسفية وضوحاً ونفعية أن زرادشت هذا قد عاش ستة آلاف سنة قبل وفاة أفلاطون ؛ ويتفق أرسطو مع ذلك^٢.

من الكواكب التى يطلقون عليها اسم آلهة الميلاد يصف الكلدانيون Chaldaeans اثنين منها بأنهما يجلبان النفع واثنين بأنهما يجلبان الشر والأذى والثلاثة الآخرين بأنهم فى حالة وسطية ومحيدة^٣ . ويسمى أرسطو الأول شكل والثانى حرمان^٤.

يقول أرسطو " سميت هكذا " لأنه من المعتقد أن القصائد ليست من عمل أورفيوس ؛ مثلما يؤكد أرسطو نفسه ذلك لأمر فى كتبه فى الفلسفة ؛ بأن الأفكار والآراء لأورفيوس ، ولكن يقال أن أونوماكريتوس Onomacritus هو الذى نظمها شعراً^٥.

يقول أرسطو أن الشاعر أورفيوس لم يكن له وجود ، وينسب الفيثاغوريون هذه القصيدة الأورفية إلى شخص يدعى سيركون Cercon^٦ .

^١ Diogenes , Op.Cit,P.11;And see Also : Ross,Op.Cit.p.79 .

^٢ Ross,Op.Cit,PP.79,80.

^٣ Plutarch,Moralia,V,P.117;And see Also : Ross,Op.Cit,P.80.

^٤ Plutarch,Op.Cit,119 .

^٥ Ibid.,p.119.

^٦ Cicero,De Natura Deorum Academica, P105; And See Also : Ross,Op.Cit,p.80..

إذا كان القول المأثور فى واقع الأمر شيئاً حكيماً ؛ فلماذا إذا لا تكون هذه الأشياء حكيمة وهى التى يصفها أرسطو بأنها آثار باقية قد حفظت بسبب دقتها ومهارتها بينما هلكت الفلسفة القديمة فى الدمار الواسع النطاق للبشرية^١.

سميت الحكمة هكذا لكونها نوعاً من الوضوح ، حيث إنها تجعل كل الأشياء واضحة ، هذا الوضوح كما لو كان شيئاً مضيئاً قد اكتسب اسمه من الضوء ؛ لأنه يأتى بالأشياء الخفية إلى النور. ولذلك فإنه كما يقول أرسطو : إن الأشياء الجليلة والمقدسة مع أنها قد تكون أكثر وضوحاً بطبيعتها الخاصة ، فإنها تبدو لنا مظلمة ومعتمة وذلك بسبب ظلمة الجسد التى تخيم علينا ، وكان من الطبيعى أن يطلق الناس اسم الحكمة على ذلك النوع من المعرفة الذى يخرج هذه الأمور إلى النور. ولكن بما أننا نستخدم كلمتى حكمة وحكيم بشكل عام ، فلا بد من إدراك أن هاتين الكلمتين مبهمتان؛ تناولهما القدماء بخمسة طرق أشار أرسطو إليها فى كتبه العشرة " فى الفلسفة " عليك أن تعرف أن الرجال يهلكون بأساليب متنوعة بالأوبئة والمجاعات والزلازل والحروب وأمراض متنوعة وبأسباب مختلفة أخرى . ولكن علاوة على ذلك عن طريق جوائح أكثر شدة ، مثال ما يقال أنه حدث فى عصر ديوكاليون Deucalion ؛ إنها كانت جائحة داهمة ولكنها لم تكن الأشد على الإطلاق . وذلك لأن الرعاة وأولئك الذين يمارسون أعمالهم فى الجبال وعلى سفوح التلال كانوا فى مأمن بينما هلك السهول بسكانها . ولذلك فإنهم يقولون على الأقل أن داردانوس Dardanus قد جرفه الفيضان من ساموثراس إلى ما سمي بعد ذلك طروادة^٢ ، وهكذا تم إنقاذه . إن هؤلاء الذين نجوا من المياه لابد أنهم عاشوا على النجاد ، مثلما يبين الشاعر عندما يقول : أولاً أنجب زيوس جامع السحاب ابنه داردانوس وأنشأ داردانيا Dardania لأنه حتى ذلك الوقت لم تكن إيلوس Ilios المقدسة قد بنيت على السهل لتكون مدينة للفنانين من الرجال ولكنهم كانوا لا يزالون يسكنون منحدرات إيدا Ida ذات الينابيع . إن كلمة لا يزالون توضح أنه لم تكن لديهم حتى ذلك الوقت

^١ Ross, Op.Cit.p.80.

^٢ عن هذه الأسطورة أنظر :

See : The Oxford classical dictionary,P.313.

الشجاعة لكي يعيشوا في السهول . هؤلاء الناجون الذين لم تكن لديهم حينئذ مقومات المعيشة قد اضطرتهم الضرورة إلى التفكير في وسائل نافعة - طحن القمح وبذر البذور وما شابه ذلك - وأطلقوا اسم الحكمة على ذلك الفكر ، الفكر الذي كشف عما كان نافعا لضرورات الحياة ، وأطلقوا اسم حكيم على أي فرد كان لديه مثل هذه الأفكار . مرة أخرى كما يقول الشاعر ابتكروا الفنون بتحريض من أثينا - وهي فنون ليست مقصورة على ضروريات الحياة ، ولكنها انصرفت إلى إنتاج الجمال والأناقة . وهذا أيضا أطلق عليه الرجال " حكمة " وعلى مكتشفه " حكيم " ، كما في العبارة " صاغها فنان حكيم " تعلمها جيدا من تلقين أثينا للحكمة لأنه بسبب تميز الاكتشافات فإنهم ينسبون فكرة هذه الأشياء إلى الاله . مرة أخرى وجهوا اهتمامهم للسياسة وابتكروا القوانين وكل الأمور التي من شأنها أن توحد الدولة . وهذا الفكر أسموه أيضا حكمة ، ولذلك كان هناك الحكماء السبعة - وهم رجال نالوا الحكمة السياسية . ثم ذهبوا أبعد من ذلك وتقدموا نحو الأجساد نفسها والطبيعة التي تشكلها وقد أطلقوا على ذلك اسم العلم الطبيعي والذي نصف أصحابه بأنهم حكماء في شئون الطبيعة . خامسا يطلق الناس لفظ الحكيم أيضا على الأشياء السماوية العلوية التي لا تتغير بتاتا ، وأطلقوا على معرفة هذه الأشياء اسم الحكمة السامية¹ .

- ٩ -

يقول البعض إن الحركة قائمة موجودة ، وينكر البعض ذلك ... وهم أتباع بارمينديس وميلسيوس الذين أطلق عليهم أرسطو الجامدين والمفكرين غير الطبيعيين - جامدون لأنهم يدعون بعدم تحرك الوجود وجموده ، وغير طبيعيين لأن الطبيعة هي مصدر الحركة ، وهم بقولهم أنه لا شيء يتحرك ينكرون وجود الطبيعة² .

- ١٠ -

يبدو كما لو كان لا يوجد ثمة شيء عند أفلاطون ينكره أرسطو إنكاره لنظرية المثل ، ليس في كتاباته المنطقية فقط .. ولكن أيضا في كتاباته الأخلاقية والطبيعية .. وبشكل أكثر في عمله ما

¹ Ross, The Works of Aristotle, XII, PP.80-82.

² Ibid, P.82.

بعد الطبيعة .. وفى محاوراته حيث يؤكد بوضوح شديد أنه لا يمكن أن يتفق مع هذا المذهب حتى إذا عرض نفسه علانية للاتهام بأن يعارضها بدافع من حب الجدل والمناظرة ^١.

- ١١ -

أعلن أرسطو أنه لم يقل شيئا ضد فروض الأفلاطونيين وفشل تماما فى أن يساير مذهب الأعداد النموذجية إذا ما كانت مختلفة عن الأعداد الحسابية . ويتضح ذلك من خلال الكلمات التالية التى وردت فى الكتاب الثانى من عمله فى الفلسفة : " وهكذا إذا كانت المثل نوعا مختلفا من الأعداد وليست أعدادا حسابية فإننا لا نستطيع فهمها وعلى كل حال فمن بين أغلبيتنا الذى يعرف أية أعداد أخرى ؟ ومن ثم فإنه فى الواقع قد وجه تفتيده إلى الجمهور الذى لا يعرف أية أعداد أخرى غير تلك التى تتألف من وحدات ، ولم تبدأ فى استهواء فكر هؤلاء المفكرين الربانيين ^٢.

فند أرسطو العقيدة الأفلاطونية ، والتى ذكرها فى عمله فى الفلسفة ، رغبة منه فى أن تقتصر الحقائق (التى يعيها دائما بالجواهر) على المبادئ الأولى التى يفترضونها (الكبرى والصغرى التى يسمونها الزوج الغير محدد) يقولون إن المبادئ الأولى للطول كانت القصر والطول . بافتراض أن الطول يأخذ أصله من طويل وقصير ، بمعنى من كبير وصغير أو أى خط يقع تحت أيهما . وأن المبادئ الأولى للسطح المستوي كانت الضيق والاتساع ، التى هى نفسها أيضا كبير وصغير ^٣.

بالأسلوب نفسه صور أفلاطون الروح فى محاورة تيمائوس فى صورة تتفق وميوله ، ذلك لأنه يعتقد بأن الشبيه يعرف بالشبيه وأن الأشياء قد صورت من المبادئ أو العناصر . نفس الشيء أيضا فى عمله فى الفلسفة أن الحيوان نفسه يتلون من مثال الشيء ذاته للواحد الطول والعرض والعمق الأساسيين وعلى نفس المنوال يتكون كل شيء . مرة أخرى فإنه يضع رؤيته بمصطلحات أخرى : العقل هو الجوهر الفرد والمعرفة هى الزوج (وذلك لأنها تسير بلا انحراف من نقطة إلى أخرى) والرأى هو رقم المسطح والشعور هو رقم المجسم ^٤.

^١ Plutarch, Op.cit, P.261; And See Also :Ross, Op.Cit.p.82.

^٢ Ross, Op.Cit, PP.82,83.

^٣ Ibid., P.83.

^٤ Ibid .,p.83

يستخدم أرسطو الآن اسم في الفلسفة لعمله (عن الخير) (المأخوذ عن محاضرات أفلاطون) التي يروى فيها كلا من آراء الفيثاغوريين وأفلاطون عن الحقيقة^١ .
إنهم جميعا لم يطرحوا مبدأ الواحد بنفس الأسلوب . قال البعض إن الأعداد نفسها قد طرحت الأشكال أو الصور في أحواز مكانية ضخمة ، فالعدد ٢ يمثل الخط والعدد ٣ يمثل المسطح والعدد ٤ للمجسم (يروى أرسطو هذا عن أفلاطون في عمل في الفلسفة ، وهذا هو السبب في أنه يُلخص هنا باختصار وإيجاز نظرية الأفلاطونيين) . بينما فسر آخرون شكل الحيز المكاني عن طريق مشاركة الواحد^٢ .

- ١٢ - أ -

اعتاد أرسطو القول إن فكرة البشر عن الآلهة نبعت من مصدرين - تجارب الروح وظواهر السماوات . فهو ينسب إلى تجارب الروح قدرتها على الإلهام والتنبؤ في الأحلام . وذلك لأنه - كما يقول - عندما تنعزل الروح أثناء النوم ، فإنها تؤدي العمل بطبيعتها الحقيقية وتتوقع وتتنبأ بالمستقبل . وهكذا يكون الحال مع الروح لدى انفصالها عن الجسد لحظة الموت . وعلى كل حال يتفق أرسطو مع رأى هومر الذي لاحظ هنا الأمر أيضا لأن هومر قد صور باتروكلوس Patroclus في لحظة موته بأنه يتنبأ بوفاة هكتور Hector ، وأن - هكتور لحظة وفاته يتنبأ بنهاية أخيلوس . وأنه من واقع تلك الأحداث - كما يقول - تشكك البشر في وجود بعض الأشياء السماوية ، مما هو في طبيعته وثيق الصلة بالروح ، وكل الأشياء الخاصة بالمعرفة . وقد أسهمت الأجسام السماوية أيضا في هذا الاعتقاد ؛ فلما رأوا الشمس نهارا تجرى في مسارها الدائري والكواكب تسير في حركتها المنتظمة ليلا اعتقدوا في وجود إله يسبب لتلك الحركة وذلك النظام . وهذا هو اعتقاد أرسطو^٣ .

ولذلك فعندما حرر النوم العقل من قيود الجماعة ومن الاتصال بالجسد ، فإنه يتذكر الماضي، ويميز الحاضر ويتنبأ بالمستقبل ذلك لأن جسد النائم يرقد مثل جسد المتوفى ولكن يظل عقله فاعلا

^١ Ross, Op. Cit, PP. 83, 84.

^٢ Ibid, P. 84.

^٣ Ibid, P. 84.

وحيا .. ولذلك عندما يقترب الموت يكون العقل أكثر ربوبية .. لأن الرجال المتوفين لديهم معرفة مسبقّة ، يؤكد ذلك بوسيدونيوس بالمثل الذى يورده .. مثال آخر لذلك هو هيكتور الذى قال عنه هومر بأنه أعلن عند وفاته عن قرب وفاة أخيلوس^١.

- ١٢ -

يقول البعض إن أصل فكر الآلهة يتبدى لنا عندما نتأمل حركة الأجرام السماوية التى لا يختل انضباطها ولا نظامها الدقيق ذلك لأنه إذا جلس شخص على جبل إيدا Ida الطروادى ورأى صفوف اليونانيين تقترب من السهول فى نظام وترتيب جيد ، الفرسان أولا مع الجياد والعربات الحربية ومن خلفهم المشاة ، فإن هذا الشخص سيصل بالتأكيد إلى الاعتقاد بأن هناك شخصا ما قام بترتيب تلك الصفوف ويقود الجنود الذين يعملون تحت قيادته ، نستور أو أى بطل آخر هو الذى عرف كيف ينظم الجياد ويوفر الحماية للمحاربين . فكما أن المرء الذى له دراية بالسفن يدرك بمجرد رؤيته لسفينه مبحرة تسابق الرياح بأشرعتها الجيدة أنه يوجد بها شخص يديرها يوجهها إلى موانئها المحددة ولذلك فإن أولئك الذين نظروا أولا إلى السماء وشاهدوا الشمس تجرى فى مستقرها منذ شروقها إلى غروبها ، ومسارات النجوم المنتظمة ، بحثوا عن فنان هذا التصميم الرائع وخمنوا بحدسهم بأن ذلك لم يأت مصادفة ولكن بفعل فاعل طبيعته أكثر قوة وخلودا ، هى قوة الإله^٢.

- ١٣ -

كم هى عظيمة مقولة أرسطو لنفرض أنه كان هناك رجال قد عاشوا دائما تحت الأرض ، فى منازل مريحة وجيدة الإضاءة ، مزينة بالصور والتماثيل ، ومؤثثة بكل شىء من شأنه أن يوفر لهم السعادة . ولنفترض رغم ذلك أنهم لم ينتقلوا أبدا إلى فوق الأرض ولكنه علموا من الأقاويل والإشاعات بأن هناك سلطة وقوة سماوية . لنفترض بعد ذلك وفى وقت ما أن انشق سطح الأرض وانفتح وكانوا قادرين على الهرب وأن يشقوا طريقهم من تلك المنازل الخفية إلى تلك الأقاليم التى نسكنها . وعندما يرون فجأة الأرض والبحار والسماء ، وعندما يتعرفون على عظمة السحاب وقوة

¹ Cicero,XX,De Senectute, De Amicitia ,De Divination, P.295.

And See Also : Ross,Op.Cit,PP.84,85.

² Ross, Op.Cit,P.85.

الرياح ، وعندما يرون الشمس ويعلمون عظمتها وجمالها والقوة الواضحة في مثلها السماء بالنور وإخراجها النهار ، وكذا عندما يخيم الليل بظلامه على الأراضي ويرون السماء كلها منقوشة ومزدانة بالنجوم ، والمراحل المتغيرة لأضواء القمر عندما تزداد وتضعف ، وشروق وغروب كل هذه الأجسام ومسارها الثابتة المستقرة أبد الدهر ، عندما يرون كل هذه الأشياء فإنه من المؤكد أنهم سيحكمون بأنه توجد آلهة ، وأن هذه الأعمال العظيمة هي أعمال الآلهة . إلى هذا الحد ذهب أرسطو¹ .

استفسر المفكرون الأوائل كيف وصل بنا الحال لتتعرف على الإله . بعد ذلك قال أعظم الفلاسفة أننا قد تعرفنا على علة ذلك من العالم بكل ما فيه من أجزاء وقوى كامنة . إذا رأى إنسان منزل مفروش بعناية ذو مداخل وصفوف أعمدة ومساكن للرجال ومساكن للنساء وكل الملحقات الأخرى فإنه سيكتسب فكرة عن المهندس المعماري تجعله يدرك بأنه لم يكن لذلك المنزل أن يكتمل دون فن الحرفي الماهر . وذلك أيضا مع أى مدينة أو سفينة أو أى بناء صغيرا كان أم كبيرا . وهكذا أيضا إذا أتى إنسان إلى هذا العالم كما لو أتى إلى منزل شاسع أو مدينة مترامية ورأى السماوات تدور فى دائرة وتحتوى على كل الأشياء التى بداخلها ، الكواكب والنجوم السيارة المتحركة بتناسق وأسلوب منظم ومتناغم من أجل صالح الجميع ، الأرض تحتل منتصف الأقليم ، بينها جداول الماء والهواء وأشياء أخرى تنبض بالحياة ، فانية وخالدة ، مجموعات متباينة من النباتات والمحاصيل فإنه سوف يدرك بالتأكيد أن هذه الأشياء لا يمكن ابتداعها بدون مهارة فائقة ، وأنه بالتأكد كان للكون بديع ولم يزل هو الإله . هؤلاء الذين يفكرون هكذا يدركون الإله من ظله كما يتعرفون على الفنان من أعماله² .

- ١٤ -

لقد أبدع أرسطو حين قال : بأنه لا ينبغي أن نكون أكثر تواضعا فى أى مجال إلا فى أمور الدين فإذا هيئنا أنفسنا قبل دخول المعابد .. فكيف يكون حالنا عندما نناقش أمور النجوم والأبراج

¹ Cicero,XIX,De Natura Deorum Academica,pp.215,217 .

And See Also : Ross,Op.Cit,PP.85,86; Ferguson, Aristotle,P.29.

² Ross, OP.Cit,P.86.

وطبيعة الآلهة لكى ينحدر قول أى شىء متهور وغير حكيم سواء كان ذلك عن غير علم بمصادقيته أو عن علم بزيفه ^١.

- ١٥ -

كما يدعى أرسطو أن أولئك الذين دخلوا فى الطقوس السرية لا يتطلب منهم أن يتعلموا أى شىء بل أن يتعرضوا لبعض التغيير ، بأن يوضعوا فى ظرف معين بمعنى أن يكون متناسبا مع بعض الأغراض ^٢.

تعهدت بأن أعلمك ما تعلمته أنا وليس ما قد خبرته .. الأول مسألة تدريس والآخر مسألة الخبرة الروحية . الأولى تصل إلى الرجال عن طريق السمع والثانية تأتى عندما يجرب العقل التنوير بذاته - والذي يصفه أرسطو بأنه غامض ووثيق الصلة بالطقوس الأليوسينية (لأن الذى يلتحق بهذه الطقوس السرية يتم تأهيله (قولبته) ولم يتم تعليمه ^٣.

- ١٦ -

يتحدث أرسطو عن ذلك فى عمل فى الفلسفة . بصفة عامة حيثما يوجد أفضل فهناك الأفضل. ولذلك فمن بين الأشياء الموجودة فإن إحداها أفضل من الآخر وهناك أيضا الشىء الأفضل وهو الشىء السماوى . والآن فإن ما يتغير ، فإنه يتغير إما بشىء آخر أو بنفسه فإذا تغير بشىء آخر فقد يكون بشىء أفضل منه أو أسوأ ، وإذا تغير بنفسه كان ذلك إما إلى شىء أسوأ منه أو من خلال الرغبة فى شىء أفضل ؛ ولكن السماوى ليس لديه شىء أفضل من ذاته قد يتغير بموجبه (لأن ذلك الآخر يكون حينئذ أكثر ألوهية . ومن ناحية أخرى ليس من المشروع أن يتغير الأفضل بفعل الأسوأ بالإضافة إلى ذلك فإذا تغير بشىء أسوأ فإنه يكون قد سمح ببعض الشر فى ذاته ، ولكن لا يوجد شىء شرير فيه من ناحية أخرى فإنه لم يغير ذاته من خلال الرغبة فى شىء أفضل ، طالما أنه لا يفتقر إلى شىء من تميزه كما أنه لا يغير ذاته إلى الأسوأ ، فحتى الإنسان لا يغير نفسه

¹ Ross, Op.Cit,P.87.

² Ibid.,p.87 .

³ Ibid.,p.87 .

طواعية إلى الأسوأ . كما لا يوجد به شيء سييء قد يكتسبه وقد اقتبس أرسطو هذا الدليل أيضا من الكتاب الثانى من عمل أفلاطون الجمهورية .

- ١٧ -

ينسب إلى أرسطو ما يلى : إنه يوجد إما مبدأ أول واحد أو العديد من المبادئ . فإذا كان هناك مبدأ واحد فإنه لدينا ما نبحث عنه ، وإذا كان هناك العديد من المبادئ فإنها إما أن تكون منظمة أو غير منظمة . وإذا كانت المبادئ غير منظمة أو مرتبة فإن نتائجها يكون أكثر اختلالا ومن ثم فلا يكون العالم عالما بل فوضى ؛ أضف إلى ذلك أن ماهو عكس الطبيعة ينتمى إلى شيء غير موجود بطبيعته . ومن ناحية أخرى فإذا كانت المبادئ منظمة فإنها تكون كذلك بذاتها أو بسبب خارجى . فإذا كانت منظمة بذاتها يكون لديها شيئا مشتركا يوحد بينها جميعا ويكون ذلك هو المبدأ الأول^١.

- ١٨ -

كان أرسطو بالتأكيد يتحدث بورع وتقوى عندما أصر على عدم حدوث العالم وعدم فئائه ، واتهم كل من يؤمن بعكس ذلك بالإلحاد الشديد ، هؤلاء الذين اعتقدوا أن الإله العظيم المدرك الذى يضم فى الواقع الشمس والقمر والبانتيون الباقى بالكواكب والنجوم غير السيارة ليس أفضل مما تصنع أيادى البشر ، ولقد اعتاد أرسطو أن يقول بسخرية - حسبما قيل لنا - أنه كان يخشى فى الماضى من تدمير منزله بفعل الرياح أو العواصف الشديدة غير المعتادة أو بفعل الزمن أو نقص الصيانة اللازمة ، ولكنه يشعر الآن بخطر أكبر يطوقه من هؤلاء الذين دمروا العالم أجمع عن طريق الجدل^٢.

- ١٩ -

إن المناقشات التى برهنت على أن العالم أزلى وغير محدث يجب أن تعطى الأولوية الملائمة، ويجب أن نذكر فى بداية المناقشة انطلاقا من احترام الإله المدرك ؛ أنه يوجد سببان حتميان لدمار كل الأشياء القابلة كذلك ، أحدهما داخلى والآخر خارجى . فالنسبة للحديد والبرونز

^١ Ross, Op.Cit,P.88.

^٢ Ibid,PP.88,89.

وما شابههما من مواد مماثلة يأتيا الدمار من الداخل عندما يغزوها الصدا ويلتتهما كالمريض الداهم. أما عن الدمار الخارجى فإنه يتحقق عندما يشتعل منزل أو مدينة نتيجة لاندلاع الالهـب . وعلى نحو مشابه يأتى الموت للكائنات الحية من داخلها عندما يصيبها المرض ، و من خارجها عندما تذبح أو ترجم بالحجارة أو تحرق حتى الموت أو تتعرض للموت المحرم عن طريق الشنق. فإذا تعرض العالم أيضا للدمار فإن ذلك سيكون بسبب عامل خارجى أو بسبب إحدى القوى بداخل العالم ذاته وكل عامل من هذه العوامل مستحيل ، لأنه لا يوجد شىء خارج العالم لأن كل الأشياء قد أسهمت فى اكتماله ولذلك فهو عالم متكامل أبدى . هو عالم واحد فقط لأنه لو وجد شىء ما خارج تكوينه فإنه سيشكل عالم آخر مثل العالم الحالى . وهو عالم متكامل ؛ لأن كل الكائنات قد استهلكت فيه ، وهو عالم أبدى وبلا أمراض لأن الأجساد التى يصيبها المرض والشيخوخة تغنى بفعل الهجوم العنيف للحرارة والبرودة والقوى المعاكسة الأخرى من الخارج ، التى لا يمكن الهرب منها ، والتى تحاصر العالم وتهاجمه لأنها جميعا بلا استثناء موجودة بداخله بصورة كاملة . وإذا كان هناك أى شىء خارجه فلا بد وأنه فراغ تام أو طبيعة جامدة لا تستطيع أن تعانى أو تفعل أى شىء. ولن يغنى العالم بسبب أى شىء بداخله . أولا : لأن الجزء سيكون أقوى وأعظم من الكل ويكون ذلك من أغرب الأشياء لأن العالم بفضل قوته يوجه كل الأجزاء ولا يوجهه أى منها . ثانيا : ولأن هناك سببان للفناء أحدهما داخلى والآخر خارجى ، فإن الأشياء التى تعانى من إحداها تكون بالضرورة عرضة للآخر . والدليل أن الثور والحصان والإنسان والحيوانات المماثلة يمكن أن تتعرض للدمار بفعل الحديد وكذلك الهلاك بفعل المرض لأنه من الصعب بل من المستحيل أن تجد شيئا عرضه للسبب الخارجى للدمار وليس عرضة مطلقا للسبب الداخلى . إذن لقد اتضح أن العالم لن يتدمر بفعل شىء من خارجه لأنه لا يوجد شىء خارجه ، كما أنه لن يفنى بفعل شىء داخله كما هو واضح من النقاش السابق القائل بأن ما يكون عرضة للتأثير بأحد الأسباب يكون أيضا عرضة للسبب الآخر ¹.

¹ Ross, Op. Cit, PP. 89, 90.

ويمكن صياغة ذلك بطريقة أخرى : إن كل الأجسام المركبة التى تتعرض للدمار عادة ما تتحلل إلى مكوناتها ؛ لأن التحلل ليس إلا عودة إلى الحالة الطبيعية للأجزاء . وعلى نحو معاكس عندما يكون هناك تكون أو إنشاء تصبح الأشياء التى اتحدت فى حالة غير طبيعية . وبالطبع يبدو ذلك بعيدا عن الشك . فنحن البشر تم تكويننا عن طريق استعارة أجزاء قليلة من العناصر الأربعة التى تنتمى فى معظمها إلى الكون كله وهى - التراب والماء والهواء والنار . وعندما تختلط هذه الأجزاء فإنها تتخلى عن طبيعتها حيث يتم دفع الحرارة العلوية إلى أسفل وحيث تصبح المواد الترابية الثقيلة؛ خفيفة وتشغل بدورها الجزء الأعلى الذى يشغله أكثر أجزاءنا ترابية وهو الرأس . إن أسوأ الروابط هى تلك التى يربطها العنف ، فهى عنيفة وقصيرة الأجل ؛ لأنه سرعان ما تنكسر بسبب الذين كانوا مرتبطين بها ، فهم يفكون الارتباط بسبب رغبتهم أو تشوقهم إلى حركتهم الطبيعية التى يتسارعون إليها . لأنه كما يقول الشاعر التراجيدى: إن الأشياء التى تولد فى الأرض تعود إلى الأرض . كذلك الأشياء التى تولد من بذور سماوية تعود إلى قطب السماء ، فلا يموت شئ يأتى إلى الوجود فأحدهما يرحل فى اتجاه والآخر فى اتجاه مختلف ، وكلاهما يبين الشكل الخاص به . وبالنسبة لكل الأشياء التى تبنى ، فهذا هو القانون وهذه هى القاعدة المفروضة - عندما تستقر الأجزاء التى اتحدت مع بعضها فى خليط واحد فإنها لا بد وأن تكون قد تعرضت إلى الفوضى والاضطراب فى نظامها الطبيعى ويجب أن تتحرك نحو العكس أو الضد من أماكنها الطبيعية لدرجة أنها تبدو إلى حد ما منفية ، ولكنها عندما تنفصل فإنها تعود مرة ثانية إلى مجالها الطبيعى .

وبما أن العالم ليس له دور فى الفوضى التى تحدثنا عنها لذلك دعنا نبحث ما يلى: إذا كان العالم فى مرحلة فناء فإن كل جزء من أجزائه لا بد أن يوضع فى النطاق غير الطبيعى له . لكننا لا يمكن أن نفترض ذلك بسهولة ؛ لأن كل أجزاء العالم قد صارت فى أفضل موضع وفى ترتيب منسجم . وهكذا فإن كل جزء منه راض بموقعه ولا يبحث عن أى تغيير للأفضل . ولهذا السبب حينئذ كان للأرض الموقع الأوسط من كل الأشياء الأرضية ، حتى أنك إذا دفعتها إلى أعلى فإنها

تهبط . وهذا دلالة على وضعها أو مكانها الطبيعي . لأنه فى هذه المنطقة عندما يوضع الشئ بعيدا فإنه يبقى ويستقر . وعندما لا يتم إكراهه ، يكون موطنه هنالك . ثانيا : إن المياه تنتشر على الأرض ، وأن الهواء والنار قد تحركا من المنتصف إلى الجزء الأعلى . ويملأ الهواء المنطقة بين الماء والنار ، ويكون للنار أعلى المواقع على الإطلاق . وهكذا فإنك إذا أشعلت مشعلا وألقيته إلى الأرض فإن الالهب بالرغم من ذلك سيقاومك ويشعل نفسه ويعود إلى الحركة الطبيعية للنار . وإذا كان سبب فناء الكائنات الأخرى هو وضعها أو مكانها غير الطبيعي ، ولكن العالم يقع كل جزء من أجزائه وفقا لطبيعة وملئمة المكان المخصص له . ولذلك فإنه يمكن القول إن العالم لا يمكن فناؤه¹.

- ١٩ ج -

إن القضية الأكثر حسما هى تلك التى أعرف أن الكثيرين يفاخرون بأنهم يعرفونها بكل الدقة وبدون أدنى شك . إنهم يسألون لماذا يجب على الاله أن يدمر العالم ؟ إما أن الاله يريد أن يوفر على نفسه الاستمرار فى خلق العالم أو أنه يريد أن يخلق عالما آخر . إن أول هذين الافتراضيين غريب على الاله لأن ما يناسبه هو تحويل الفوضى إلى نظام وليس النظام إلى فوضى علاوة على ذلك فإنه يكون قد أدن بدخول التوبة والتأثر ومرض الروح إلى ذاته . وإلا كان بالأحرى له عدم خلق هذا العالم على الإطلاق . وأنه إذا حكم على العمل الذى قام به فإنه لابد أن يبتهج بما أنتج . أما البديل الثانى فيحتاج إلى دراسة كاملة . فإذا أراد الاله أن يصنع أو يخلق عالما آخر غير العالم الحالى ، فإن العالم الذى سيخلقه سيكون على أية حال إما أسوأ أو أفضل من العالم الحالى ، أو أشبه به . وكل هذه الاحتمالات عرضة للاعتراض .

- ١ - إذا كان العالم المخلوق سيئا فإن صانعه أسوأ ، لكن أعمال الاله بريئة فوق النقد لا يمكن صنع أفضل منها وقد تم صنعها وفق أكثر الفنون وأكثر المعارف كمالا . وذلك كما يقول المثل السائر لا توجد امرأة يعوزها الحكم الصائب حتى تفضل الأسوأ عندما يكون الأفضل متاحا ومن الملائم لله أن يمنح الشكل لعديم الشكل وأن يزين أقبح الأشياء بجمال رائع .

¹ Ross, Op.Cit,PP.90,91.

- ٢ - إذا كان العالم الجديد مثله مثل القديم فإن جهد صانعه يكون قد ذهب سدى ، ولا يختلف فى ذلك كثيرا عن الأطفال الذين عندما يبنون قلاعاً من الرمال على الشاطئ فإنهم غالباً ما يبنونها ثم يهدمونها . ويكون من الأفضل كثيراً بدلاً من صنع عالم جديد مثل العالم القديم ألا يضيف أو يحدف شيئاً ، وألا يغير شيئاً للأفضل أو للأسوأ ، بل أن يترك العالم الأصلى فى مكانه .

- ٣ - إذا أراد الخالق أن يصنع عالماً أفضل فإن الصانع نفسه يجب أن يكون أفضل ، ولا بد أنه كان أقل حكمة وأقل إماماً بالفن عندما خلق العالم السابق - وهذا لا يجوز أن نرتاب فيه لأن الآله عدل وهو مثل ذاته لا يسمح بالتراجع نحو الأسوأ ولا العزم نحو الأحسن ^١ .

- ٢٠ -

عندما يقول لك فيلسوفك الرواقى الحكيم هذه الأشياء مقطعةً فإن أرسطو سوف يقول بحديث كالذهب المتدفق إن هذا الرواقى يقول كلاماً لا معنى له ؛ وسوف يقول إن العالم لم يخرج إلى حيز الوجود ، لأنه لم يكن هناك أبداً تصميم جديد يمكن أن يستمد منه هذا العمل النبيل نشأته . وأن هذا العالم مصمم بصورة جيدة فى كل جزء من أجزائه بحيث لا توجد أى قوة أخرى يمكنها أن تحدث مثل هذه الحركات العظيمة ومثل هذا التغيير العظيم ، ولا يمكن للشيخوخة أن تصيب هذا العالم بمرور الزمن لدرجة أن يتساقط هذا العالم الجميل إلى جزئيات ويفنى ^٢ .

إذا كان يمكن للعالم أن يفنى ككل لأنه يفنى كأجزاء فمن الواضح أنه فى وقت ما قد خرج إلى الوجود ؛ وكما أن الضعف يدل على البداية فإنه أيضاً يدل على النهاية . وإذا كان ذلك صحيحاً فإن أرسطو لم يستطع أن ينقذ العالم نفسه من أن تكون له بداية . وإذا كان أفلاطون وأبيقور قد انتزعا هذا الاعتراف من أرسطو ، فإنه على الرغم من طلاقة أفلاطون وأرسطو اللذين يعتقدان أن العالم سيبقى إلى الأبد فإن أبيقور سوف يستخلص منهما نفس النتيجة عن غير قصد حيث إنه يترتب على ذلك أن العالم أيضاً له نهاية ^٣ .

^١ Ross, Op.Cit,pp.91,92.

^٢ Cicero,XIX,De natura Deorum Academica,P.621;And See Also : Ross,Op.Cit,PP.92,93.

^٣ Ross,Op.Cit,P.93.

حيث إن بعض الأشياء الحية أصلها في الأرض ، وأخرى في الماء ، وأخرى في الهواء ، فإن أرسطو يعتقد أنه من الهراء أن نفترض أنه لن يولد أى حيوان فى ذلك الجزء المناسب لتولد الأشياء الحية وحيث إن النجوم تشغل المنطقة الأثيرية ، وبما أن تلك المنطقة هى الأقل كثافة ودائمة الحركة والنشاط فإن الحيوان الذى يولد فيه يكون أقوى إدراكا وأسرع حركة . وهكذا ، حيث إن النجوم تولد فى الأثير فإنه من المناسب أن يكون لديها إدراكا وذكاء . ومن ذلك يجب اعتبار النجوم من بين الآلهة^١ .

يجب الثناء على أرسطو أيضا لحكمه أن كل الأشياء التى تتحرك تفعل ذلك إما بطبيعتها أو بالإلزام أو بالاختيار . وأن الشمس والقمر وكل النجوم فى حالة حركة ، وأن الأشياء التى تتحرك بطبيعتها تتحرك إما إلى أسفل بسبب وزنها أو إلى أعلى بفضل خفتها ، ولا يمكن لأيهما أن يحدث للنجوم ، لأن حركتها تكون فى مدار أو دائرة . ولا يمكن القول إن قوة عظمى ما تجعل النجوم تتحرك عكس الطبيعة ، ولكن ماهى تلك القوة الأعظم ؟ ما يتبقى حينئذ هو أن حركة النجوم هى حركة إرادية إن من يرى هذه الأشياء وينكر وجود آلهة إنما يتصرف بجهل واستخفاف بالمقدسات^٢ .

يقول أفلاطون وأرسطو إنه توجد أربعة أنواع من الحيوانات - أرضية ومائية ومجنحة وسماوية . ويقول إن النجوم أيضا حيوانات ، وأن العالم نفسه إله ، حيوان مفكر خالد^٣ . ينسب أرسطو عملية الخلق كلها للحيوانات السماوية^٤ . وينسب أرسطو توالد هؤلاء للشمس ولدائرة البروج^٥ .

^١ Cicero, Op. Cit, p. 163. And See Also: Ross, Op. Cit, p. 93 .

^٢ Cicero, Op. Cit, P. 165; And See Also : Ross, Op. Cit, pp. 93, 94.

^٣ Ross, Op. Cit, P. 94.

^٤ Ibid., p. 94

^٥ Ibid., p. 94

إن القول إنه يجب أن يوجد جنس كامل من الرجال نشأ بهذه الطريقة يتضح من حالة الإنسان الذى نشأ فى تلك الأجزاء والذى تغذى فقط على أشعة الشمس ؛ لقد تحدث عنه أرسطو بأنه قد رآه بنفسه ^١.

إذا سجل أرسطو حالة رجل فى هذا العالم بأنه لم يذق طعم النوم ويتغذى على أشعة الشمس. فما الذى يجب علينا أن نفكر فيه عن الأشياء فى عالم آخر ؟ ^٢

يتفق بروكلنس Proclus مع أرسطو بأن الأجسام السماوية تتمتع بحاستى السمع والبصر فقط من بين كل الحواس ، وهما اللتان تساهمان فى تحسس الوجود ولا تشاركان فى الوجود ذاته كما تفعل بقية الحواس الأخرى . ويشهد الشاعر على ذلك قائلا : " إن الشمس ترى كل الأشياء وتسمع كل الأشياء " - مما يعنى أن الأجسام السماوية تتمتع بالسمع والبصر فقط . ويضيف أرسطو أن معظم تلك الحواس قد اكتسبت المعرفة عن طريق الحركة والنشاط وليس عن طريق الخمول والسلبية ، وهى أكثر ملائمة للأجسام السماوية غير المتغيرة . ومع ذلك يؤكد دماسكيوس Damascius أن تلك الأجسام تتمتع بحواس أخرى ^٣.

لقد أوضحنا أن أفلاطون قد رفض الأشكال الأخرى للموسيقى ليس عن جهل أو عدم دراية موسيقية ولكن لكونها غير مناسبة لمثل هذا النظام ؛ وسوف نوضح بعد ذلك أنه كان ماهرا فى الموسيقى ^٤ . . . وعن فكرة أن الموسيقى هى شئ نبيل وإلهى ورائع ، يقول أرسطو تلميذ أفلاطون : أن الموسيقى سماوية وهى بطبيعتها إلهية وجميلة وملهمة ، تتكون بطبيعتها من أربعة أجزاء ولها وسيلتان ؛ الحسابية والهارمونية وأن أجزاءها فى امتداداتها وتجاوزاتها واحدة على الأخرى لها دلالات رقمية متناسبة ؛ لأن النغمات مرتبة فى وحدتين من النغمات الرباعية . هذه هى

^١ Ross, Op.Cit,p.94.

^٢ Ibid.,p.94

^٣ Ibid,PP.94,95.

^٤ Plutarch,Moralia,XIV,P.399;And See Also : Ross,Op.Cit,P.95.

كلماته . وكان يعنى أن قوام الموسيقى يتكون من أجزاء غير متشابهة ومع ذلك تتناغم مع بعضها البعض ولكن وسائلها تناغمت أيضا بنسب حسابية حيث تتناغم النغمة الأعلى بصوت متناسبة مع النغمة الأدنى بنسبة ٢ : ١ فيكتمل الجواب Octave وهو ثمانى نغمات موسيقية متتالية - لأن الموسيقى كما قلنا من قبل ، نغمة عليا مكونة من اثنى عشر وحدة ، ونغمة أدنى مكونة من ست وحدات . وتتناغم البراميز Paramese (النغمة الحادة) مع الهيبات Hypate (النغمة الغليظة) بنسبة ٣ : ٢ ولها تسع وحدات ، بينما للميز mese (النغمة الرابعة) كما قلنا ثمانية ومنهما تتكون المسافات الموسيقية الأساسية - وتتضمن الرابعة نسبة ٤ : ٣ ، والخامسة نسبة ٣ : ٢ والجواب (الثمانية) نسبة ٢ : ١ . وتوجد أيضا نسبة ٩ : ٨ وهى التى تعطى مسافة نغمة واحدة . وتتجاوز نغمات السلم الموسيقى نغمات كما تتجاوز المسافات مسافات بنفس التداخلات من المتواليات الهندسية والحسابية . ثم يصفها أرسطو بأن لها هذه القيم حيث النغمة الثامنة تتجاوز النغمة الرابعة بالجزء الثالث من نفسها ، وتتجاوز النغمة الرابعة النغمة الأساسية النسبة نفسها ، ومن ثم فإن التداخلات متلازمة ؛ فالنغمات تتجاوز ويتجاوزها نفس الأجزاء . وهكذا فإن النغمات الأعلى تتجاوز كما يتم تجاوزها من جانب النغمة الرابعة والخامسة بنفس النسب ٤ : ٣ و ٣ : ٢ وهذا التجاوز هو الذى يعد تناغما . والنغمة الثامنة تتجاوز الرابعة ، والخامسة تتجاوز النغمة الأساسية Hypate بكسور حسابية متساوية . فنسبة الخامسة إلى الرابعة هى ٩ : ٨ ، والثامنة إلى الأساسية ٢ : ١ ، والخامسة إلى الأساسية ٣ : ٢ ، والرابعة إلى الأساسية ٤ : ٣ . وهكذا يتكون السلم الموسيقى من النغمات والأرقام المقابلة حسب رأى أرسطو .

وفيما يتعلق بالطبيعة الداخلية بتشكيل السلم ونغماته من الزوجى ، الفردى والزوجى - الفردى . لأنه فى حد ذاته وفى مجمله يتضمن الزوجى أربعة حدود بينما تكون أجزاؤها ونسبتها زوجية ، فردية وزوجية فردية ، فالنغمة الثامنة زوجية تحتوى على ١٢ وحدة ، والنغمة الخامسة فردية تحتوى على تسع ، والرابعة زوجية تحتوى على ثمانية والنغمة الأساسية تحتوى على ست وحدات زوجية - فردية . وبهذه الطريقة التى يتشكل بها وبنغماته التى ترتبط ببعضها بنسب وتداخلات متبادلة ، فإن السلم ككل يكون فى انسجام مع ذاته ومع أجزائه . ولكن علاوة على ذلك

فإن الحواس التى تخرج إلى حيز الوجود فى الأجساد ، تلك الحواس السماوية والإلهية التى يمنحها الاله ، وبفضل هذا الإدراك المنسجم للإنسان - أى السمع والبصر - فإنها تظهر الانسجام بفضل الصوت والضوء . وأن الحواس التى تصاحب ذلك هى كالحواس المنسجمة التكوين ، لأنه لابد من الانسجام حتى تنتج هذه الحواس آثارها ؛ إنها أقل من السمع والبصر ، ولكنها ليست مشتقة منهما . وعندما يكون الاله موجودا تتواجد تلك الحاستان فى الأجساد وفق مبادئ رقمية وتكون طبيعتها قوية وجميلة فى الوقت نفسه .

من الواضح إذن أن اليونانيين القدماء كانوا على حق فى تقييمهم للتعليم الموسيقى بأنه أعلى أنواع التعليم ^١ .

- ٢٦ -

(متحدثا بشخصية أحد الابيقوريين) . يثير أرسطو فى الكتاب الثالث من عمله فى الفلسفة الكثير من الارتباك بسبب انشغافه عن أستاذه أفلاطون . فهو ينسب كل الألوهية للعقل ، ويقول إن العالم نفسه إله ، ثم يضع غاية أخرى فوق العالم وينسب إليه وظيفة السيطرة والحفاظ على حركة العالم بواسطة نوع من الدوران العكسى . ثم يقول إن حرارة السماوات هى إله دون أن يدرك أن السماوات هى جزء من العالم الذى أطلق عليه فى موضع آخر اسم إله . لكن كيف يمكن الحفاظ على الإدراك الحسى الإلهى الذى ينسبه إلى السماوات فى حركة بمثل تلك السرعة ؟ وأين هى آلهة المعتقدات الشعبية إذا اعتبرنا السماوات أيضا آلهة ؟ وعندما يطالب هو نفسه أن يكون الإله بلا جسد ، فإنه يحرمه من كل إدراك حسى ، بل ومن الحكمة والبصيرة علاوة على ذلك كيف يمكن للعالم أن يتحرك إذا كان بلا جسد ، وكيف إذا كان دائما متحرك بذاته ، أيمكنه أن يكون هادئا وسعيدا ؟ ^٢ .

- ٢٧ -

ولذلك فإن الهواء - هذه الكلمة أيضا التى نستخدمها ككلمة لاتينية - والنار والماء والتراب كلها أولية ، تنشأ منها أشكال الحيوانات وثمار الأرض . ولذلك فإنها تسمى مبادئ أولى أو عناصر

^١ Plutarch, Op.Cit, Pp.403-411; And See Also : Ross, Op.Cit, PP.95,97.

^٢ Cicero, XIX, De Natura Deorum Academica, PP.33,35; And See Also : Ross, Op.Cit, P.97 .

حسب ترجمتها من اليونانية . من بين هذه العناصر الهواء والنار لديهما القدرة على إنتاج الحركة وإحداث التغيير . بينما يكون دور الآخران وهما الماء والتراب الاستقبال والمعاناة . أما عن النوع الخامس الذى نشأت منه النجوم والعقول فإن أرسطو يعتقد أنه شىء مميز وليس على شاكلة الأنواع الأربعة التى ذكرها آنفا¹ .

يرى أرسطو الذى تفوق كثيرا على الآخرين - ودائما أستثنى منهم أفلاطون - فى الفكر والصناعة ، بعد أن تناول الفئات الأربع المعروفة بالمبادئ الأولى التى اشتقت منها كل الأشياء ، أن هناك نوعا خامسا يشتق العقل منه ، لأن التفكير والحكمة والتعلم والتعليم والاكتشاف ثروات الذاكرة والحب والكره والرغبة والخوف والكآبة والابتهاج ، كل هذا وأمثاله ؛ يعتقد أرسطو أنه لا يمكن تضمينه فى أى من الفئات الأربع ، لذلك فهو يضيف نوعا خامسا مجهولا أو بلا اسم ، ومن ثم فإنه يلقب العقل ذاته بالاسم الجديد *Evoenexeia* لكونه فى حركة مستمرة لا نهائية² .

إذا كان العقل إما رقما معينا (وهو افتراض بارع ولكنه ليس شديد الوضوح) أو طبيعة خامسة بلا اسم ولكنها مفهومة جيدا ، فإن هذه الكائنات أكثر كمالا ونقاء بحيث يمكنها أن تتحرك بعيدا عن الأرض³ .

ولكن إذا كانت توجد طبيعة خامسة ، كان أرسطو أول من طرحها ، فإنها طبيعة كل من الآلهة والعقول وقد اتبعنا هذا الرأى وعبرنا عنه بالكلمات نفسها فى عملنا *Consolatio* : أن أصل العقول لا يوجد على الأرض ، فالعقول ليس بها أى شىء مختلط أو مركب أو أى شىء يبدو أنه يولد ويتشكل فى الأرض أو أى شىء يشبه الماء أو الهواء أو النار . لأنه لا يوجد فى هذه الطبيعيات أى شىء له قوة الذاكرة والعقل والفكر ، الذى يحتفظ بالماضى ويتنبأ بالمستقبل ويدرك الحاضر - التى هى وحدها قوى حية - ولا يمكن أن تكتشف أبدا من أين جاءت تلك الطبيعيات إلى الإنسان سوى من الآله ، وهناك مع ذلك طبيعة فريدة وقوة للعقل منفصلة عن تلك الطبيعيات المعروفة والمألوفة . وهكذا فإن كل ما يشعر ويعرف ويعيش وينمو فلا بد أنه سماوى وإلهى

¹ Cicero, Op.cit, P.437; And See Also : Ross, Op.Cit, P.98.

² Cicero, XVII, Tusculan Disputations, PP.27,29; And See Also : Ross , Op.Cit.p98.

³ Cicero, Op.Cit, P.49; And See Also : Ross, Op.Cit, p.98

وبالتالى يكون خالدا . ولا يمكن أن نفهم الاله الذى نعرفه سوى أنه العقل المستقل والحر والمنفصل عن كل مزيج فإن يغذى ويحرك كل الأشياء ، بينما يتمتع هو بالحركة الأبدية . ويعد العقل البشرى من هذا النوع ومن نفس الطبيعة ^١ .

قدم أرسطو عنصرا خامسا أطلق عليه اسم مالا اسم له * ، يشير بالتأكيد إلى كائن خلق العالم بتوحيد العناصر الأربعة فى عنصر واحد ^٢ .

- ٢٨ -

يجب أن يتم دراسة الغاية والوسيلة بالعلم نفسه ، والطبيعة هى الغاية (لأن نهاية أية عملية مستمرة هو أيضا سببها النهائى ومن ثم جاءت ملحوظة الشاعر المنافية للعقل " أن لديه الغاية التى ولد من أجلها " . وهى منافية للعقل لأنه لا يعتبر كل نقطة نهاية بل فقط تلك النقطة الأفضل هى السبب النهائى) . وبالطبع أن بعض الفنون تصنع محتواها والبعض الآخر يجعلها قابلة للعمل . ونحن نستخدم مادتها على أنها وجدت من أجلنا (وذلك لأننا الغاية فى إحدى الحاستين التى أبرزناها فى العمل فى الفلسفة) ^٣ .

يتضح من هذا النص السابق أن أرسطو استمر طوال فترة إقامته فى الأكاديمية تلميذا مخلصا لأستاذه أفلاطون وإن كان يختلف أحيانا معه فى الفكر والآراء الفلسفية ، إلا أنه لم يجرؤ طوال إقامته فى الأكاديمية على انتقاد أفلاطون أو مذهبه الدينى والفلسفى ، وإذا كان أرسطو التلميذ فى الأكاديمية بعد مرور فترة طويلة أنتج خلالها الكثير من المحاورات التى يمكن القول عنها إنها كانت أعمالا تدريبية أو تقليدا لأستاذه إلا أنه سرعان ما وصل إلى مرحلة النضج الفكرى وإن ظل أسيرا للفلسفة الأفلاطونية ، ثم كانت مرحلة الاستقلال والتجديد وهى الفترة التى بدأت قبيل مغادرته للأكاديمية أو بعدها مباشرة ، وهى الفترة التى ظهر فيها أرسطو كشارح للفلسفة الأفلاطونية وكنا

¹ Cicero, Op.cit, PP.77,79; And See Also : Ross, The Works of Aristotle, XII, PP.98,99.

* ترجع الباحثة أن هذا العنصر الذى يشير إليه أرسطو بالعنصر الخامس هو (الأثير) .

² Ross , OP.Cit,P.99.

³ Aristotle, Physics, translated by R.P.hardie and R.K.gaye. in The Great Books of The Western World , The Works of Aristotle, Vol.1, P.270; And See Also : Ross, Op.Cit, P.99.

قدمنا لها وفقا لتصوره عن طبيعتها. ومن ثم يجب علينا أن نحاول أن نفتش خلال هذه السنوات عن الفترة التي وصل خلالها لأولى مؤلفاته المعبرة عن وجهة نظره المستقلة والصيغة النهائية لفلسفته. وتأتى محاوره فى الفلسفة لتعبر عن هذه المرحلة ومن ثم فإنه يجب أولا أن نحدد تاريخ تأليفها على وجه التقريب حيث يصعب أن نحدد زمنا بعينه ، وإنما هى اجتهادات لوضع التاريخ المحتمل لذلك . لقد وضع ييجر تاريخا محتملا لهذه المحاوره بأنه كان أثناء فترة إقامة أرسطو فى آسوس ٣٤٧/٣٤٨ - ٣٤٥ - ٣٤٤ ق.م أو بعد وفاته مباشرة ، ويستند فى ذلك إلى عدة معطيات، الأولى : أن أرسطو أثناء إقامته فى آسوس استمر فى نشاطه الفلسفى مع بعض رفاقه ، وفى هذه الفترة استمرت الصلة بأفلاطون الذى كتب إليه فى إحدى خطاباته أنه حتى وهو فى هذا العمر المتقدم فإنه لا يمكن أن يتخلى عن نظرية المثل ، وأنه إذا واجه رجال آسوس أى مشكلة فيمكنهم مراجعة الأكاديمية^١ . وهذا يعنى أنهم فى آسوس كانوا يناقشون نظرية المثل ، وربما وجدوا بعض المواضع المشككة أو التى يدور حولها الشك فكتبوا إلى أفلاطون يستوضحون منه . ومن ثم يبدو أن أرسطو كان قد عقد العزم على التخلي عن هذه النظرية وفى سبيله إلى ذلك لابد يظهر انتقاداته أو أوجه الضعف من وجهة نظرية . وأنه بعد وفاة أفلاطون قام رجال آسوس بدعوة مجموعة من فلاسفة الأكاديمية بعضها يمثل التيار المحافظ والبعض الآخر يمثل التيار المنادى بالتجديد وهذه المجموعة هى التى قرأ عليهم أرسطو النسخة الأولى من كتاب الميتافيزيقا التى كانت معاصرة لمحاوره فى الفلسفة^٢ . ومن ذلك يتضح تاريخ تأليف هذه المحاوره عن طريق العلاقة بين نقد أرسطو لنظرية المثل والنقد الذى وجهه لأفلاطون فى الكتاب الأول من الميتافيزيقا عن نظرية الصور أو بعد ذلك بفترة وجيزة وكان ذلك بالتأكيد بعد وفاة أفلاطون أو بعد وفاته بفترة قصيرة^٣ . وربما يعتمد الكثيرون فى قولهم إن ذلك تم بعد وفاة أفلاطون استنادا إلى ما ينسب إلى أرسطو من أن ذرادشت عاش قبل وفاة أفلاطون^٤ . ومن ثم يكون التاريخ المحتمل هو عام ٣٤٧/٣٤٨ ق.م ، أما إذا كان أرسطو قد كتب محاوره فى الفلسفة تأكيدا على وجهة نظره التى عرضها فى كتاب

^١ Jaeger, Aristotle, P.173.

^٢ Ibid, P.173.

^٣ Ibid, 128; And See Also: Alexei Losev, Aza takho, Aristotle, PP.55,56.

^٤ انظر شذرة ٦ من المحاوره .

الميتافيزيقا وأعلن فيها رفضه لنظرية المثل والأعداد النموذجية فإن ذلك يعنى أنه يجب أن يوضح تاريخ لاحق لسنة ٣٤٨/٣٤٧ ق.م.^١ أما إذا اعتبرنا أن انتهاء أرسطو من دراسته التمهيدية فى الأكاديمية سنة ٣٥٧/٣٥٦ ق.م قد صار بعدها مؤهلا للتعبير عن رأيه المستقل ، وإذا كان البعض يرى أن محاوره فى الفلسفة قد كتبت قبل وفاة أفلاطون فذلك يعنى أنها كتبت فى الفترة ما بين ٣٥٦/٣٥٧ - ٣٤٧/٣٤٨ ق.م.^٢

وثمة رأى آخر يجد أن هناك بعض الاتصال والتشابه بين محاوره أرسطو فى الفلسفة وكتاب أفلاطون القوانين الذى بدأ أفلاطون فى تأليفه سنة ٣٥٦/٣٥٥ ق.م فإن ذلك يطرح عدة احتمالات منها أنه إذا كان كتاب فى الفلسفة سيؤرخ قبل عام ٣٥٥ ق.م فإن معنى ذلك أنه صدر قبل القوانين وهذا يعنى أن أفلاطون هو الذى قام بالرد على أرسطو أو نقد لكتاب فى الفلسفة ، أما إذا كان سيؤرخ لمحاوره فى الفلسفة بعد عام ٣٤٨/٣٤٧ ق.م أى بعد وفاة أفلاطون فإن معنى ذلك أن ما كتبه أرسطو هو نقد أو رد لما جاء فى القوانين خاصة فى نوع القصيدة ونظريات المثل والأعداد المثالية والصور وغير ذلك . أما إذا اعتبرنا أن محاوره فى الفلسفة كانت معاصرة للقوانين فقد يظن البعض أن الأجزاء الأخيرة من القوانين جاءت متأثرة بمحاوره فى الفلسفة وهذا غير محتمل بالمرة^٣ . ولكن الواقع أن بعض الأفكار التى يقدمها أفلاطون فى القوانين خاصة الأفكار اللاهوتية يناقشها أرسطو فى الكتاب الثالث من محاوره فى الفلسفة ، كما يوجد أيضا تشابه بين بعض الفقرات فى الكتاب الثانى عشر من القوانين الأفلاطونية والكتاب الثالث من محاوره فى الفلسفة حيث يقول أفلاطون : يوجد شينان يؤديان إلى الإيمان بالاله ، الأول : المناقشة عن النفس .. والثانى : الجدل حول ترتيب حركة النجوم وكل شىء تحت سيطرة النفس التى تنظم الكون نفس الشىء قاله أرسطو بأن فكرة البشر عن الإلهة قد نبعت من مصدرين هما تجارب النفس وظواهر السماوات^٤.

¹ Chroust, Aristotle, II, pp. 146, 148.

² Ibid., pp. 146, 148.

³ Ibid, P. 149.

⁴ Ibid, PP. 151, 152 , And See Also: Alexei Losev, Op. Cit, P. 59.

إننا الآن أمام وجهة نظر يبجر القائلة إن أرسطو قد كتب المحاوراة ما بين ٣٤٨/٣٤٧ - ٣٤٦ ق.م وبين الكثير من التواريخ التي ناقشها كروست منها تواريخ تسبق وفاة أفلاطون بل تعود إلى سنة ٣٥٧ ق.م وبعضها بعد وفاة أفلاطون . ومع ذلك يظل التاريخ الذي افترضه يبجر هو أكثر التواريخ قبولا ومن ثم يمكن القول إن أرسطو قد كتب محاوراة في الفلسفة في فترة ما بين ٣٤٦/٣٤٧ - ٣٤٦ ق.م .

وتتميز هذه المحاوراة ببعض الميزات التي قد لا توجد في محاوراته السابقة فقد جعل أرسطو نفسه المتحدث الرئيسي والموجه للمناقشة^١ . علاوة على ذلك فقد كتب أرسطو مقدمة مستقلة لكل كتاب من كتب المحاوراة الثلاثة ، ومن ثم فقد يدعونا إلى القول إن كل كتاب من هذه الكتب كان كاملا ومستقلا بذاته ، وهكذا فمن الناحيتين الشكلية والفلسفية تقع المحاوراة في منتصف الطريق بين الكتب العلمية التي كتبها للخاصة وبين المحاورات التي كتبها للعامة وإن كانت تميل إلى الاقتراب من محاورات العامة^٢ . ومع ذلك فإنه في الفترة التي اختفت فيها أعمال أرسطو المستورة أو كتبه الخاصة ظلت هذه المحاوراة هي المصدر الرئيسي للمعرفة بآراء أرسطو الفلسفية في العالم القديم ومنها اتخذ الرواقيون والأبيقوريون معرفتهم عن أرسطو^٣ .

وإذا كان أرسطو في بعض محاوراته السابقة قد أظهر بعض وجهات النظر المختلفة أو المستقلة عن فكر أستاذه وفلسفته إلا أنه لم يعلنها صراحة أو يعارض أفلاطون أو لا يستطيع أن يقبل بعض آرائه أو ينتقدها ، ومن ثم فقد كانت هذه المحاوراة هي العمل الأدبي الوحيد لأرسطو الذي نعرف عنه تحديدا أنه كان معاديا لأفلاطون . وكانت هذه الانتقادات دحضا عاما لمذهب الأعداد المثالية وعالم المثل التي بنى عليها أفلاطون أساس فلسفته ومذهبه الديني^٤ . وقد عبر أرسطو عن معارضته لنظرية أفلاطون بقوله : إذا كانت المثل نوعا مختلفا من الأعداد وليست أعدادا حسابية

¹ Ferguson, Aristotle, P.27, And See Also: Jaeger, Op.cit, P.127.

² Jaeger, Op.Cit, P.127

³ Ibid., P.128.

⁴ Allan, The Philosophy of Aristotle, PP.14,15; And See Also: Ferguson, Op.Cit, P.28; Alexei Losev, Op.Cit, P.56.

فإننا لا نستطيع فهمها^١. وإذا كان أرسطو قد رفض نظرية المثل فقد قال في محاوره في الفلسفة إنه لا يمكن أن يتفق مع هذا المذهب حتى إذا عرض نفسه علانية للاتهام بأنه يعارضها بدافع من حب الجدل والمناظرة^٢. في هاتين الشذرتين نجد أن أرسطو هو المتحدث ، حقيقة لا نعرف الكلمات الفعلية التي قالها ولكن كلا الشذرتين تحفظان التعبير المناسب لرفضه أو عدم فهمه .

مرة أخرى نجد أرسطو يشذ في هذه المحاوره عما اعتاد عليه الأفلاطونيون من احتقار للسوفسطائيين وفلسفتهم وأعاد الاسم إلى معناه الصائب كعنوان للشرف وقال إنها جديرة بالحكماء السبعة اعترافاً منه بسموها ورفعته^٣. كما أنه عندما أراد أن يؤرخ للفلسفة فإنه لم يكتف بفلسفة اليونان القدامى وإنما أشار لفلسفة الشرق وإبداعاتهم القديمة والهائلة ، وتحدث عن المجوس ، وتحدث عن الحكماء السبعة لبلاد اليونان وقال إن القول بالمأثور المشهور " اعرف نفسك " لم يقله أحد من هؤلاء الحكماء وإنما ينسب إلى كاهنة بيثيا في معبد دلفي . كما قال إن المجوس أقدم من المصريين^٤ ، وأن زرادشت عاش قبل وفاة أفلاطون بستة آلاف سنة^٥ . وبين أن القصائد الدينية المعروفة باسم القصائد الأورفية المنسوبة إلى أورفيوس ليست من إنشاء أورفيوس لأنه لم يكتب شعراً وإنما الأفكار والمبادئ لأورفيوس وأن الذي نظمها شعراً هو الشاعر أونوماكريتوس ، ومن ثم فقد فرق أرسطو بين الأفكار الدينية والشكل الذي ظهرت فيه ، بل ينسب إليه أنه أنكر وجود شاعر باسم أورفيوس وأيده في ذلك الفيثاغوريين الذين نسبوا القصائد إلى شاعر يدعى سيركون .

^١ انظر : محاوره في الفلسفة ، شذرة ١١ .

^٢ نفس المصدر ، شذرة ١ .

^٣ نفس المصدر ، شذرة ٥ .

^٤ قال أرسطو في كتبه الباقية أن المصريين هم أقدم الشعوب ، أو أنهم عريقون جداً في القدم .

Aristotle, Meteorology,; translated by E.W.Webster , in The Works of Aristotle Vol.1, edited by Robert Maynard Hutchins, The University of Chicago, 1982, P.458 .

وأيضاً : أرسطو ، السياسيات ، ص ٣٨٣ .

^٥ إن هذا التاريخ المنسوب إلى أرسطو في المحاوره يخالف ما نعرفه عن تاريخ وجود زرادشت حيث أنه عاش في الفترة من ٥٨٣-٦٦٠ ق.م على وجه التقريب أي حوالي منى سنة فقط قبل وفاة أفلاطون وترجح الباحثة أن هذا التاريخ الذي ذكره أرسطو ربما أراد أن يشير به إلى قدم الحضارة الشرقية .

أنظر : د.جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، دار الطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت ، ص ٣١٤ .

هذا الكم الهائل من الحقائق عن الحكمة ووضع تواريخ محتملة للثقافات الشرقية واليونانية أراد به أرسطو أن يؤكد على اعتقاد بالدورة الطبيعية فى إحياء الحقائق القديمة وظهورها من جديد فى التاريخ البشرى ، ليس فقط مرة أو مرتين ولكن بصفة متكررة على نحو غير محدد . ولذلك وضع أساس مجموعة من الأمثال اليونانية تعتمد على أن هذه الأوامر الموجزة إن هى إلا ما تبقى من ما قبل الفلسفة الأدبية ، التى حفظت نفسها بالقول المتداول خلال كل التغييرات فى روح الأمة بفضل إيجازها وأهميتها . وأدركت عين أرسطو الفاحصة قيمة الأقوال و الأشعار الماثورة فى دراسة أصول الأخلاق ، وقد جلبت هذه المحاولة على أرسطو الازدراء العلنى من الأوساط الأيزوقراطية . وفى محاولة فحصه لقدم الحكمة الدلفية اعرف نفسك حاول أن يحدد هل هذه الحكمة صدرت عن الحكماء السبعة ، وتوصل إلى أنه بما أن الحكمة الماثورة أقدم من شيلون الذى هو أقدم الحكماء جميعا وبالتالي فإنها لم تصدر عن أى منهم ولكن أوحى بها بيثيا Pythia نفسها ¹ .

وقد ترتب على مبدأ اعرف نفسك عند سقراط أن نظريته الأخلاقية التى تتلخص فى أن الفضيلة معرفة والرذيلة جهل ، فمعرفة الإنسان بنفسه هى السبيل الوحيد لتحقيق الفضيلة ² . وهكذا فإن تفسير سقراط لهذه الحكمة هو الذى سبب له المشاكل . إن العلاقة الثابتة هنا بين الحكمة الماثورة المنقوشة فى معبد دلفى ، وبحث سقراط عن المعرفة الأخلاقية تتناسب فى محاوراة فى الفلسفة لأرسطو أفضل مما تتناسب فى أية محاوراة أخرى ، وهى مثال للمذهب القائل إن الحقائق الفلسفية يعاد اكتشافها فى جميع مسارات التاريخ . وهكذا صار سقراط هو الذى استرد أو قام بإحياء المبدأ الأخلاقى لديانة أبولون ، الحقيقة أنه مثلما حاول أرسطو أن يوضح بحكاية الزيارة إلى دلفى أنه من خلال هذه المركزية القديمة للكشف عن الحقيقة أنه أدرك الدافع الخارجى الذى أدى إلى تلك التساؤلات التى أثارت كل المشكلات الأخلاقية فى عصره ³ .

وتنقسم المحاورات إلى أربعة موضوعات رئيسية حسب تقسيم كروست وهو تقسيم جيد للدراسة سنقتدى به ولكن ليس على الترتيب الذى وضعه . وسنحاول بداية أن نبين العلاقة بين

¹ Jaeger, Op.cit,P.130.

² د. أميرة مطر ، الفلسفة اليونانية ، ص ١٥٠ .

³ Jaeger,Op.Cit,PP.130,131.

محاورة فى الفلسفة وفلسفات الشرق القديم ، وتتضح هذه العلاقة من المؤثرات أو الاقتباسات التى اقتبسها أرسطو من الفلسفات الشرقية على نحو مسلم به ، وقد فعل ذلك لكى يظهر اعتماد بعض جوانب الفلسفة اليونانية على فلسفة المجوس ، بل أكثر من ذلك فإن هذه الاقتباسات تشير إلى وجود علاقة جوهرية بين بعض مراحل الفلسفة اليونانية والتقاليد الدينية أو شبه الدينية الإيرانية القديمة ، وعندما نوقشت بعض آراء أرسطو الدينية فى محاورة فى الفلسفة يرى البعض أنه كان مهتما بعمق ومعنى بشدة بفلسفة المجوس ، وقد يؤدى ذلك إلى التخمين أو الاستشعار بأن بعض آرائه قد تأثرت على نحو مباشر أو غير مباشر بالتعاليم الدينية للمجوس¹.

وإذا حاولنا البحث عن مصدر هذه المؤثرات الشرقية فإن الدلائل كلها تشير إلى يودوكسوس الكندوسى Eudoxus of Cnidus عالم الفلك والرياضيات وصديق أفلاطون ، الذى كتب مؤلفا فى علم الجغرافيا بعنوان " رحلة حول العالم " قد استهوته علوم الشرق وحكمته من خلال زيارته لمصر وإيران والمناطق الشرقية الأخرى ، وعندما عاد أحضر معه إلى بلاد اليونان ما جمعه من علوم كانت مجهولة لليونانيين آنذاك². وبما أن يودوكسوس قد قضى وقتا لا بأس به فى الشرق فلا بد وأنه كان على علاقة مباشرة مع التعاليم الزرادشتية ، كما أنه من المحتمل أيضا أن يكون قد نقل إلى بلاد اليونان تعاليم الشرق وبعض جوانب العقائد الدينية . ومن المعروف أن يودوكسوس ، زار أثينا مرتين المرة الأولى حوالى سنة ٣٧٧-٣٧٨ ق.م ، ومرة أخرى حوالى سنة ٣٦٨ ق.م . وتولى القيام بأعمال أفلاطون فى الأكاديمية خلال إقامة أفلاطون الثانية فى سيركوزا ٣٦٧-٣٦٥ / ٣٦٤ ق.م³. وكانت أكاديمية أفلاطون فى هذا الوقت مركز اهتمام شديد بالشرق وعلومه ، كبشير لحملة الإسكندر والتقارب اللاحق بين اليونانيين والآسيويين ، أما الطريقة التى شق بها النفوذ الشرقى طريقه إلى الأكاديمية فقد كشفت عنه إحدى الشذرات التى حفظتها بردية فى هيركولانيوم

¹ Chroust, Op.Cit,p.208.

² Jaeger,Op.Cit,P.132; And See Also: Chroust,Op.Cit,P.208.

³ Jaeger,Op.Cit,P.132,And See Also : Chroust,Op.cit,P.208

عن سيرة يودوكسوس الكندوسى ، انظر :

Diogenes Laertius, Lives of Eminent Philosophy ,11, PP.401-407.

Herculaneum ضمنت قائمة بأسماء تلاميذ الأكاديمية . وقد كشفت القائمة أن أحد الكلدانيين كان عضوا منتظما بالمدرسة ¹.

ومن المسلم به أن أرسطو فى الكتاب الأول فى الفلسفة قد بدأ مقدمة عامة موجزة عن تاريخ الفلسفة ، وأنه قد تجاوز تلك الفلسفة اليونانية وحكمائها وأتى إلى ذكر الفلاسفة الآخرين وخاصة حكماء الشرق سعيا وراء المصريين والمجوس الذين يعتبرهم أقدم من المصريين . ولكن إلى أى مدى استحوذت فلسفة المجوس على عقل أرسطو وفكره من حقيقة أنه كتب فى الميتافيزيقا إن بعض المفكرين الأوائل قد دمجوا الخير والشر وجعلوا الأفضل هو المبدأ الأصلى المتكون مثلما فعل المجوس وبعض الحكماء اللاحقين مثل ايمبيدوكليس انكساجوراس ² .

وربما يثار هنا التساؤل مرة أخرى ، كيف ومن خلال أية قنوات أو سبل وسيطة أتت فلسفة المجوس أو المذهب الزرادشتى إلى بلاد اليونان أو إلى فكر أرسطو ، وقد سبقت الإجابة أن يودوكسوس الكندوسى على الأرجح هو الذى أدخل أو قدم أفكار الفلسفة الشرقية إلى بلاد اليونان وإلى أثينا والأكاديمية على وجه الخصوص ، كما كان هناك أيضا الطالب الكلدانى أو أحد أتباع زرادشت ، وربما العديد من الكلدانيين كانوا أيضا أعضاء فى الأكاديمية الأفلاطونية ، وهناك من الدلائل ما يشير إلى أن هؤلاء المجوس قد جاءوا إلى أثينا من أجل الفلسفة الأفلاطونية والمشاركة فى التعاليم الفلسفية التى كان يشرحها ويفسرها وهذا يعنى أن تعاليم أفلاطون وفلسفته قد وصلت إلى المجوس فى فارس وأنه بسبب فضولهم الشديد أو شغفهم بنبوءة " النبى الجديد " أو الحكيم الجديد قد أرسلوا إلى أثينا رسولا منهم أو بعض الرسل ليتعلموا عن هذا المعلم الجديد فى الغرب ³. وربما أيضا ما يزيد من صحة هذه المعلومة ما ذكره ديوجين لارتس بأن ميثراداتس الفارسى قد نصب تمثالا لأفلاطون فى الأكاديمية ونقش عليه هذه الكلمات : ميثراداتس الفارسى ابن أورنتوباتس اعترافا بالفضل يهديه إلى ربات الفنون وكذلك أفلاطون ⁴. ولكن إلى أى حد أثرت تعاليم ومعتقدات الكلدانيين والمجوس فى تعاليم الأكاديمية خلال العقود الأخيرة من حياة أفلاطون ؟ على أية حال

¹ Jaeger, Op. Cit, pp. 131, 132.

² Chroust, op. Cit, p. 209.

³ Ibid., P. 209.

⁴ Diogenes Laertius, op. cit, 1, P. 301; And See Also: Chroust, Op. Cit, P. 209.

يمكن الاستشهاد بقول أفلاطون ذاته لى نثبت تأثره بمبدأ الثنائية عندما يقول فى القوانين بأن حركة الكون تستلزم روحين على الأقل إحداهما خيرة والأخرى قادرة على التأثير المضاد¹ وقد تكون الروح الخيرة ليست إلا أورمودز Ormuzd الزرادشتى والروح الشريرة ما هى إلا أهريمان Ahriman الزرادشتى ، ويؤكد أفلاطون أن الشر لا يمكن أن يموت أبدا لأنه لا بد أن يظل دائما شيئا ما معاديا للخير². أو كما ذكر أفلاطون أيضا فى محاوره السياسى أن الكون يتحرك فى وقت ما بقوة إلهية خارجية ويستمد حياة جديدة وخلودا من يد الخالق المجددة ومرة أخرى عندما يترك فإنه يتحرك بذاته لأنه صار متحررا فى ذلك الوقت ، ويتمتع خلال دورات سنوية لا نهائية بحركة عكسية³. كما توجد بعض التأثيرات الشرقية الأخرى فى نفس الفترة وهى حالة التوازي بين الفضائل الأربعة لأفلاطون والأخلاق الزرادشتية وبين اللاهوت النجمى الذى وضعه فيليب الأيوسى تلميذ أفلاطون وسكرتيره فى تعليقه على كتاب القوانين لأستاذه بأنه الحكمة السامية ، ويوصى بالمبادئ الدينية الجديدة التى ينسبها لليونانيين والتى اعتمد فيها فيليب بوضوح على المصادر الشرقية⁴. وقد تولدت هذه الميول بلاشك خلال الفترة عندما كان يودوكسوس مقيما فى الأكاديمية ومارس تأثيرا هائلا على أعضائها يتضح ذلك من تقدير الأكاديمية وأعضاؤها لعلم الفلك الكلدانى والسورى ، ومعرفتهم بالكواكب السبعة معرفة تظهر فى كتابات فيليب الأيوسى لأول مرة فى أوربا، والأكثر من ذلك فإن الثنائية الزرادشتية للخير والشر قد تنعكس بشكل مطلق على ميتافيزيقية أفلاطون⁵. ومع ذلك فإن التأثيرات الزرادشتية على أفلاطون قد يعود تاريخها إلى الثمانينيات أو على الأقل إلى السبعينيات من القرن الرابع قبل الميلاد . إن النزعة الثنائية الخاصة فى ميتافيزيقية أفلاطون المتأخرة ، التى تنسب بصفة عامة إلى التعاليم الفيثاغورية قد تكون أيضا زرادشتية، وإذا كان الأمر كذلك فإن المرحلة الرياضية الفيثاغورية فى فلسفة أفلاطون التى تشتمل على نظرية الأعداد المثالية يبدو أنها كانت متوافقة مع التعاليم الزرادشتية عن النجوم أو تكون قد تأثرت جدا

¹ أفلاطون ، القوانين ، ص ٤٦٦ .

² Chroust, Op. Cit, P. 210.

³ Plato, Statesman, P. 587 .

⁴ Jaeger, Op. Cit, P. 132.

⁵ Ibid, P. 132.

بالمذهب الزرادشتي . من ذلك الوقت فصاعدا صارت الأكاديمية مهمة بشدة بزرادشت وتعاليم المجوس^١.

ويقول بيجر إن الحماس في الأكاديمية للزردشتية قد وصل إلى حد الشمال ، مثل إعادة اكتشاف الفلسفة الهندية من خلال شوبنهاور ، وأثارت الوعي التاريخي الذاتي للأكاديمية للاعتقاد بأن مذهب أفلاطون (عن الخير) كمبدأ سامي وعالمي قد كشفه للبشرية الشرقية نبي شرقي قبل ذلك بآلاف السنين^٢.

ربما نستنتج أيضا أنه يمكن اكتشاف تأثيرات زرادشتية معينة على الفلسفة اليونانية قبل أفلاطون والأكاديمية ، وربما كانت ادعاءات هيراقليطيس الإفسوسي بأن النزاع مبعث كل شيء ما هو إلا صياغة وإعادة هيكلة للمعتقد الزرادشتي في الصراع الدائم بين قوى الخير وقوى الشر ، وكذلك عندما يطلق ايمبيدوكليس على المحبة والكراهية اسم العاملين الرئيسيين اللذين يعملان في جميع أرجاء الكون ، ويتتبعان في السيطرة . فإنه يبدو أنه كان يعيد صياغة التعريف الزرادشتي عن الإله وكذلك الأزواجية الزردشتية (عن الخير) والشر والصراع الدائم بينهما^٣.

وبالمثل أيضا فإن أرسطو الذي كان شابا في العشرين من العمر وعلى ارتباط وثيق بأفلاطون والأكاديمية قد قام هو الآخر بجمع أية معلومات يحصل عليها من المجوس أو الكلدانيين، ومما لا شك فيه أن هذه المؤثرات على الفلسفة اليونانية والتغيرات التي طرأت عليها نتيجة لاتصالها بالفلسفات الشرقية كانت وراء اهتمام أرسطو بالمجوس ، ومع ذلك فإننا نستطيع أن نتبين بعض الآثار الزرادشتية في بعض أعماله الأخرى مثل مذهب العودة الأبدية أو النظرية القائلة بأن الحقيقة تعود في فترات دورية معينة والتي هي تحديدا عنصر جوهرى في التقاليد الزرادشتية ، فعلى سبيل المثال نجد في الميتافيزيقا أن كل علم وكل فن قد تكرر تطوره إلى أقصى ما يمكن ثم مرة أخرى

¹ Jaeger, Op. Cit, P. 132; And See Also : Chroust, Op. Cit, P. 211.

² Jaeger, Op. Cit, p. 134.

³ Chroust, Op. Cit, P. 212.

يتكرر فنائه^١. وفى كتاب عن السماء يقول : يجب على الإنسان أن يعتقد أن نفس الأفكار تحدث ، وتحدث مرة أخرى فى عقول الرجال ، ليس مرة واحدة فقط ولكن مرارا وتكرارا^٢. علاوة على ذلك يجزم أرسطو بأن الآراء نفسها تظهر فى دورات بين الرجال ، ليس مرة أو مرتين ولكن مرات عديدة لانهائية^٣. وبناء على ذلك يتوصل أرسطو إلى نتيجة أن الأشياء قد تم ابتكارها مرات عديدة بقوله ربما وجب الاعتقاد أن الأمور الأخرى قد استنبطت مرارا فى الزمان الغابر لا بل عددا لا يحصى من المرات^٤.

هذه الاقتباسات توضح أن أرسطو كان فى حوار مع المذهب الزرادشتى وكذلك عن التصور الزرادشتى عن الدراما الكونية المتمثلة فى الصراع الدائر والدائم بين أهورامازدا وأهريمان وهو الصراع بين الخير والشر ، فإنه وفقا للموروثات الفارسية يحكم أهورا مازدا وأهريمان بالتناوب ، بحكم كل منهما لمدة ثلاثة آلاف سنة ، ويتشاجران مع بعضهما البعض لمدة ثلاثة آلاف سنة أخرى ، ويحاول كل منهما أن يقضى على الآخر ويدمر ما قد أنجزه^٥. ومن ثم فإنه ليس من قبيل الصدفة أن يحدد كل من يودكسوس الكندوسى وأرسطو أن زرادشت قد عاش قبل وفاة أفلاطون بستة آلاف سنة ، وهذا يعنى أن زرادشت قد وجد بوضوح فى بداية دورة كونية مميزة من ثلاثة آلاف سنة وهى الدورة التى شهدت حكم أهورا مازدا ، بينما يميز وجود أفلاطون نهاية دورة أخرى وبداية دورة لاحقة قوامها ثلاثة آلاف سنة يتصارع فيها أهورا مازدا وأهريمان وهى التى تسبق الدورة الموحشة الثالثة التى يحقق فيها أهريمان اليد العليا^٦. وربما هذا يعنى أنه مع وفاة أفلاطون فقد آلت فترة كونية مميزة إلى نهايتها (فترة من ثلاثة آلاف عام) توقف فيها الصراع بين أهورا مازدا وأهريمان ، وصار من الممكن للحياة أن تكون جيدة وسعيدة – وأنه بعد وفاة أفلاطون يبدأ حكم

^١ Aristotle, Metaphysics, translated by W.D. Ross, in Great Books of the Western World, the Works of Aristotle, Vol.1, edited by Robert Maynard Hutchins, The University of Chicago, 1952, p.605; And See Also : Chroust, Op.Cit, P.213.

^٢ Aristotle, On The Heavens, p.361 in The Works of Aristotle, Vol.1. Edited by Robert Maynard Hutchins, The University of Chicago, 1982, PP.359-405; Chroust, Op.Cit, P.213.

^٣ Aristotle, Meteorology, P.446; Chroust, Op.Cit, P.213.

^٤ أرسطو ، السياسيات ، ص ٣٨٢.

^٥ Jaeger, Op.Cit, 134; Chroust, Op.cit, P.213.

^٦ Chrpust, Op.cit, p.214; Jaeger, Op.Cit, P.134.

أهريمان ، حينئذ يكون أفلاطون هو آخر أبناء أهورا مازدا الحقيقيين ، بعده يسود الشر على العالم ولم يعد بإمكان أحد أن يكون طيبا وسعيدا ^١.

ومن ثم فإن هذه الدراسة توضح أن أرسطو في محاوره في الفلسفة وفي بعض من كتاباته الأخرى قد أظهر معرفة ملموسة واهتماما ببعض جوانب التعاليم الزرادشتية ، كما توضح أيضا إشارته التاريخية إلى المذهب الزرادشتي في الكتاب الأول من محاوره في الفلسفة المكانة البارزة التي يخصصها للمذهب في تاريخ الفلسفة . وقد يلقي هذا أيضا بعض الضوء أنه في الوقت الذي صنف فيه المحاوره كان مهتما بشكل جوهري بالمشكلات اللاهوتية التي تمثل الفكرة المركزية لكل فلسفته مما أدى إلى نوع من التناغم والانسجام بين أرسطو والتعاليم الزرادشتية . وإن كانت هناك ثمة دلالة من ذلك فإنه يمكن القول إنه بحلول منتصف القرن الرابع قبل الميلاد سيطرت هذه التعاليم بوضوح على الفضول الفلسفي والاهتمام الديني للعديد من المفكرين اليونانيين بسبب توجهاتها الدينية ونزعتها الصوفية ومن ثم فلم يكن من المدهش على الإطلاق أن رجال الأكاديمية الأفلاطونية وأعضاءها الأكثر تميزا قد شغلوا أنفسهم بجوانب معينة للتعاليم الزرادشتية ^٢.

حاول أرسطو إثبات وجود الآله عن طريق صنع الآله وخلقه ، أو كما يقول هو أن فكرة الناس عن الآله قد نبتت من مصدرين ؛ تجاوب الروح وظواهر السماوات ^٣ ويبدو ذلك في الفرضية التي افترضها عن وجود أناس يعيشون تحت الأرض في عيشة جيدة وحياة سعيدة ولا يعلمون شيئا عما في خارجها ولكنهم فقط لديهم بعض الروايات عن وجود الآلهة أو القوة الإلهية . وقد افترض أنه في وقت ما انشقت الأرض واستطاعوا الصعود إلى السطح ، فإنهم عندما يرون الأرض والسما والبحر والشمس والقمر والليل والنهار ، وظهور واختفاء الأجسام السماوية ونظامها الثابت ، عندما يدركون كل ذلك فإنهم بالتأكيد سيفكرون في وجود آلهة ، وأن كل ما هو مصنوع وموجود من أشياء رائعة إن هي إلا من صنع الآلهة ^٤.

^١ Chroust, Op. Cit, P. 214.

^٢ Ibid, P. 214, 215 .

^٣ أنظر: محاوره في الفلسفة ، شذرة ١٣ .

^٤ نفس المصدر ، شذرة ١٤ .

ويبدو أن آراء أرسطو هذه قد أثارت انتباه العديد من الفلاسفة والمفكرين الذين استفسروا منه كيف توصل لمعرفة الإله فأجابهم بأنه قد تم التعرف على الإله من خلال الكون وأجزائه والقوى الكامنة في هذا الكون ، وأعطى بعض الأمثلة بأن كل شيء يدل على صانعه سواء كان منزلاً أو مدينة أو سفينة وغير ذلك وكذلك فإذا تأمل أحد السماء بما فيها من كواكب ونجوم والتي تتحرك بشكل منتظم ومتناغم ، وإذا تأمل أحد الأرض والماء الجارى فيها والتيارات الهوائية ما بين الأرض والسماء، وإذا حاول أحد إدراك نشاط الكائنات والنباتات ، إذا حاول أى إنسان التفكير والوصول إلى نهاية لكل ما رأى فإن هذه الأشياء لا يمكن أن تكون قد جاءت للوجود دون فن وتخطيط كامل ؛ بل يوجد وسيظل موجود صانع لكل هذا العالم هو الإله ؛ لذلك فإن من يصل إلى الإله إنما يصل عن طريق الدلائل أو عن طريق صنعه كما سبق وتوصلوا للصانع أو الفنان عن طريق صنعه^١ .

قام فيلو الإسكندر بإعادة صياغة الفكرة نفسها فى قطعة من إنشائه يبدو فيها التأثير الواضح بأرسطو فى كتابه فى الفلسفة . وكتب كروست نقلاً عن فيلو : إذا كانت المعرفة الفلسفية قد مكنت بعض الناس من التعرف على خالق أو حاكم هذا العالم فإنهم بذلك قد تقدموا من الوضاعة إلى الرفعة كما يقول المثل السائر . فى الحقيقة إنهم عند دخولهم لهذا العالم يكونون كمن دخل مدينة حكمة بالقوانين الجيدة ، وأنهم عندما يتأملون الأرض مطوقة بالجمال النفيسة الممتدة ، والسهول الفسيحة التى تنتشر فيها الشجيرات والأشجار والنباتات حاملة الثمار والفاكهة وكذلك الحيوانات من كل الأنواع وشاهدوا فى الأماكن المختلفة المحيطات والبحيرات والتيارات والسيول الجارفة ، والرياح والنسيم اللطيف ، والتغيرات المنتظمة فى الفصول بالإضافة إلى الشمس والقمر والكواكب والنجوم الثابتة والسموات فى انتظامها . وعندما أبصروا كل ذلك تعجبوا أشد العجب وأصابهم الذهول وتوصلوا لنتيجة ثابتة أن كل هذا الجمال والروعة وترتيبه الفائق لا يمكن أن يكون مجرد صدفة ، ولكن يجب أن يكون له صانع ، هو خالق العالم ، وأن هذا العالم هو دليل على الصانع لأن هناك مبدأً طبيعياً يقرر بأن القوى الخالقة تهتم بما خلقت^٢ .

^١ انظر: محاوره فى الفلسفة ، شذرة ١٣ .

^٢ Chroust, PP.160,161.

ويسوق أرسطو مثالا آخر فيقول : إن من يرى أحد الجيوش وقد سارت فى صفوف منتظمة وفى ترتيب حسن ، الفرسان فى المقدمة وخلفهم المشاة ، يعلم أن هناك قائدا عسكريا يعرف كيف ينظم الخيول والمقاتلين ، وأن من يرى سفينة تشق عباب البحار يعرف أن لها ربانا يوجهها إلى مرفئها . ولذلك فإن هؤلاء الذين ينظرون إلى السماء ويرون الشمس تأخذ دورتها من مشرقها إلى مغربها ، ويرون التوزيع الدقيق للنجوم ، فإنهم يبحثون عن صانع هذا التصميم الرائع ، ويعتقدون أن كل هذا لم يوجد بالصدفة ولكن صنعه قوى عظمى خالدة وهى الاله ^١.

وإذا ما نظرنا بدقة إلى هذا العمل للبحث عن الدليلين المقنعين لوجود الاله فى تاريخ الفلسفة الغربية ، وهما الدليل الفلسفى والدليل الكونى ، ونرى أن أرسطو قد قدم الدليل الكونى عن وجود إله فى الفلسفة اليونانية ، أو على الأقل إنه أول مفكر فى العصر القديم يبين هذا الدليل فى مصطلحات فلسفية ^٢ أما يبجر فيقول إن أرسطو قد ناقش فى كتابه فى الفلسفة المصادر النفسية فى الاعتقاد بالاله ^٣ ، ليس من قبيل الفضول وحب الاستطلاع ولكن من أجل أن يقوم الآخرون بتجربة ما قام هو بتجربته . وأنه كان مدركا تماما أنه لم يكن بوسع علم المنطق أن يدرك قوة الإقناع الداخلى الذى يثيره الإحساس الملهم للنفس ، ولم يستطع أن يخفى إعجابه بإنجاز أرسطو ، فقال : إنه لا يوجد أحد فى العالم القديم قد تحدث بشكل أجمل أو أعمق عن الحياة الدينية من جانبها الشخصى أو العاطفى مثلما تحدث أرسطو فى السنوات التى كان الدين فيها هو القضية المركزية فى تفكيره ^٤ . ويقول إن أرسطو قد حصل على الاقتناع الذاتى لوجود الاله من مصدرين ؛ من تجربة الإنسان عن القدرة الإلهامية للنفس التى تحرر نفسها من الجسد عند النوم أو عندما يشرف الإنسان على الموت فإنها تعود إلى طبيعتها الحقيقية وتدرك وتنفذ إلى المستقبل بعين المتنبئ. ومن خلال رؤية السماوات

^١ انظر: محاوراة فى الفلسفة ، شذرة ١٢ .

^٢ Chroust, Op.P.162.

^٣ Jaeger, Op.cit,P.159.

يقول أرسطو أن اسلافنا فى الأزمنة البعيدة فقد تركوا إلى خلفائهم تقاليد أو روايات فى شكل أسطورة بأن هذه (الأجسام السماوية) آلهة وأن الألوهية الطبيعية بأكملها .

Aristotle, Metaphysics,P.604.

^٤ Jaeger, Op.Cit,P.159.

المرصعة بالنجوم^١. ويقول إن هذه المعادلة مستعارة من أفلاطون ؛ لأنه فى القوانين قد استنبط الاعتقاد فى الإله من المصدرين ذاتها حيث يقول إن التصديق بالألوهية مستمد من مصدرين : أحدهما نظريتنا عن النفس أو مبدؤنا القائل بأنها أكثر قدما وأكثر ألوهية من أى شىء يستمد الوجود المعمر من حركة كانت لها بداية . والآخر مبدؤنا عن النظام فى حركة الكواكب والأجسام^٢. وقد بين أحد الفلاسفة المتأثرين بأرسطو أن الإله قد خلق العالم بهدف مساعدة البشر على معرفته ومعرفته وجوده من خلال صنعه ، وأنها هى الطريق لمعرفة الإله . ومن ثم فإننا يجب أن ندرك أن أرسطو عندما أشار إلى تناغم الكون وكماله فإنه يعنى بذلك الإله المرئى . ويرى البعض أن أرسطو فى برهنته على وجود الإله فإنه قد أعطى للإنسان حقه من التكريم مثلما أبدى التعظيم والتكريم للإله؛ لأنه رفض أن يدخل الدوافع الحقيرة فى العلاقة الحيوية بين الإله والإنسان ويقال إن أرسطو قد ادعى أن الإيمان بالإله وفى وجود الإله لم تنشأ كما حدث فى معظم الأديان القديمة التى قامت على نحو من الشعور الذليل بالخوف والاتكال على تعمد الجهل والخرافة^٣.

إن الصورة الجميلة التى رسمها شيشرون للقوم الذين عاشوا تحت سطح الأرض فى مساكن غاية فى الروعة والفخامة مزينة بالتمائيل والصور فى حياة مريحة وبيئة متألقة ، هذه الدرجة العالية من الراحة المادية توضح أنه حتى تحت الأرض بعيدا عن التنظيم السماوى إلا أنهم كان لديهم القدرة على الحس والتفكير . ولاشك أن شيشرون كان متأثرا بالتأكيد بما كتبه أرسطو فى محاوره فى الفلسفة . كما كان متأثرا إلى حد كبير بالميتافيزيقا حيث يقول أرسطو إن الناس بدأوا يتفلسفون رغم الصعوبات التى واجهتهم فى البداية ، كانوا يتفلسفون لكى يتخلصوا من الجهل ويسعون إلى العلم من أجل المعرفة وذلك بعد أن توفرت لهم ضرورات الحياة والأشياء التى تعود عليهم بالراحة^٤ . ومن ثم فإن سكان الكهوف قد حققوا أيضا هذا القدر من الحضارة المادية مما

^١ Jaeger, Op.Cit,P.161

^٢ أفلاطون ، القوانين ، ص ٥٦٣ .

^٣ Chroust,Op.Cit,PP.163,164.

^٤ Aristotle, Metaphysics, PP.500,501;And See Also : Chroust,Op.Cit,PP.164,165.

مكنهم من فهم معنى الجمال والنظام بل أكثر من ذلك فقد كانوا قادرين على إدراك النظام الكونى وما فيه من جمال^١ .

الأمر الأول الذى يجب أن نلاحظه هو اعتماد أرسطو فى هذه الفقرة على الكهف فى جمهورية أفلاطون ، والأخيرة تمثيل رائع للتجربة الدينية للفلسفة الأفلاطونية ، خاصة فى النزول بالعالم المرئى إلى مجرد نطاق من الظلال ، ثم إخراج أحد السجناء من الكهف ليرى الوجود الحقيقى^٢ ، ولكن تشبيه أرسطو اتخذ موقفا جديدا ، فإن رجاله لا يعيشون فى الكهوف ولكنهم يعيشون فى بيئة حديثة ، جهلة متخمون مرفهون طمروا أنفسهم مثل حيوان الخلد^٣ . ولكن أرسطو جعلهم يصعدون يوما إلى النور ليشاهدوا الدراما التى يراها هو نفسه ؛ الروعة غير المحدودة للحقيقة ، والبناء السماوى وحركى الكون ، وعلمهم أن يتأملوا العالم المرئى . لقد كان مدركا أنه أول يونانى يرى العالم الحقيقى بعيون أفلاطون^٤ . إن التأثير العظيم لعمل فى الفلسفة على العصر الهيلينستى يظهر مرة أخرى من الفقرة الشهيرة التى تكررت مرة ثانية فى كل الكتابات اللاهوتية الرواقية وهى الفقرة إلى حفظها شيشرون للبرهان على وجود الاله فى الكتاب الثالث من عمله فى الفلسفة^٥ .

وفى هذا المجال فإن اقتباس أرسطو من أفلاطون والمقصود هنا الاقتباس من أسطورة الكهف هو أكثر من مجرد محاكاة ، بل هو تحول بالغ وبعيد المدى عن مذهب أفلاطون الأساسى حيث يوجد بعض التشابه الظاهرى بين إله أرسطو لهذا العالم المنظم والمتحد وبين إله أفلاطون^٦ . على أية حال فقد شهد عصر أفلاطون وأرسطو نوعا من الحرية فى دراسة اللاهوت بعد أن كان مقيدا إن لم يكن محرما . فقد عرض أرسطو وأكد كما فعل أفلاطون أن المعرفة بالاله يمكن

^١ Chroust, Op. Cit, 165.

^٢ يقول أفلاطون إن السجين سيبدأ فى استنتاج أن الشمس هى الفصول والسنين وأنها تتحكم فى كل ما فى العالم المنظور وأنها تعنى علة كل ما كان يراه هو ورفاقه فى الكهف .. اما عن رحلة الصعود لرؤية الأشياء فى العالم الأعلى فتتمثل فى صعود النفس إلى العالم المعقول .. فأخر ما يدرك فى العالم المعقول بعد عناء شديد هو مثال الخير . انظر : أفلاطون ، الجمهورية ، ص ٤٢٠ ، ٤٢٢ .

^٣ Jaeger, Op. cit, P. 163, 164.

^٤ Ibid, P. 164, And See Also : Alexilosev, Aristotle, P. 59.

^٥ Jaeger, Op. Cit, p. 163.

^٦ chroust, Op. Cit, p. 167.

الحصول عليها عن طريق العقل والتجربة ، هذا التأكيد لم يكن غريبا عن العقل الهيلينستى ولكنه وقف فى مواجهة حادة لوجهة النظر اليونانية التقليدية فى أمور العقيدة . أما بالنسبة لنظرية الكهف الأفلاطونية فإن أرسطو ربما كان متأثرا إلى حد كبير بالتشابه القديم الذى استخدمه ايمبيدوكليس الذى أصر على أنه عندما نشاهد العالم الإلهى من ارتفاع شاهق فإن العالم المرئى يتحول إلى مجرد حفرة أو كهف ولكن من الأوقع أن نقرر أن التشابه الأرسطى الخاص بالكهف هو بشكل أو بآخر اقتباس من التصور الأفلاطونى¹ . وفى التحليل النهائى لذلك فإن أرسطو قد استبدل العالم الأفلاطونى الفائق للمثل المستقلة - الحقيقة الوحيدة والعالم الحقيقى لأفلاطون بتصوره الشخصى عن الحقيقة الوحيدة ذات الدلالة وهى العالم الذى نعيش فيه ، علاوة على ذلك فإن هذا العالم الحقيقى لأرسطو فى ترتيبه الرائع وجمال تكوينه قد أوجده ويتحكم فيه كائن أسمى ، وهو بطريقة أخرى المجال المرئى للكائن الأسمى . هذا النظام البديع يعلن عن وجود الإله الأعلى . هذا الإله الذى يؤمن به أرسطو يعلن عن نفسه وعن وجوده فى هذا الجمال المنقطع النظير . هذا وقد نجح أرسطو فى إيجاد قوى وتواصل بين الإله والإنسان عبر العالم المخلوق من خلال صنعه . ومن خلال الإله المرئى أو الكون الإلهى . أما بالنسبة لأفلاطون فإن العالم المرئى الجسمانى وعالم المثل الفائق فإنهما منفصلان إلى الأبد ومتناقضان ، أما بالنسبة لأرسطو من ناحية أخرى فإن الإله والإنسان والعالم متواصلون دائما ومتآلفون² . وهكذا فبدلا من الفلسفة الأفلاطونية التى تسعى إلى التعرف على الإله من خلال عالم المثل غير المحسوس والخيالى نادى أرسطو بأن يكون التعرف على الإله من خلال ما يراه الإنسان من صنع الإله .

¹ chroust,OP.Cit,P.167.

² Ibid,P.168.

نظرية أرسطو فى النفس التى أوردتها فى المحاوره :

يختلف أرسطو فى منهجه وهدفه فى النفس فى محاررة فى الفلسفة إلى حد كبير عن منهجه وعمله فى النفس فى محاوره يوديموس أو كتاب فى النفس ، كما تختلف بشكل مؤكد عن تلك الآراء التى نادى بها فى عمله فى النفس ؛ ولذلك فإن الشذرات الباقية المنسوبة إلى هذه المحاوره على ما يبدو تمثل مذهباً فريداً للنفس . ووفقاً لذلك يبدو أن النفس تتمتع بطبيعة خاصة تميزها عن العناصر المادية التقليدية الأربعة وبأن النفس لها طبيعة فكرية أو روحانية خاصة بها ، على الأقل يمكن وصفها بأنها طبيعة غير مادية تشبه إن لم تكن متماثلة مع الطبيعة الإلهية . وبصرف النظر إذا كانت هذه الآراء مقبولة أم غير مقبولة فإنها تمثل أحد فترات تطوره الفلسفى . وقد نادى أرسطو بشكل واضح بأن خصائص الروح هى : (أ) الطبيعة الروحية الخالصة أو غير المادية للنفس ، (ب) جوهرية النفس ، (جـ) فردية النفس ، (د) خلود النفس المفردة (هـ) استقلال النفس عن العالم المادى ، (و) سمو النفس على العالم المادى ، (ز) الطبيعة المشتركة لنفس الإنسان والإله . وهكذا تختلف آراء أرسطو عن النفس فى هذه المحاوره عن باقى أعماله الأخرى^١ .

وإذا كان أرسطو يؤمن بأن العناصر الأولى الأربعة الهواء والنار والماء والتراب تنشأ منها أشكال الحيوان والفواكه الدنيوية فإنه يضيف عنصراً خامساً جاءت منه النجوم والنفوس والعقول ، اعتقد أرسطو أنه عنصر متميز يختلف عن العناصر الأربعة المعروفة . وهكذا فإن أرسطو يعد أول من يعتقد وجود نوع خامس من الطبيعة بلا اسم هى طبيعة كل من الآلهة والعقول والنفوس ، وأشار إلى هذا العنصر الخامس بأن قام بخلق العالم بتوحيد العناصر الأربعة فى عنصر واحد^٢ . هذا العنصر الخامس ربما ليس كما يتصوره بعض العلماء بأنه الأثير ، لأن أرسطو فى محاوره عن الصلاة لم يقل إن الإله هو الأثير ولكنه قال : إن الإله إما أن يكون عقلاً أو شيئاً ما أسمى من العقل^٣ . ولما كان أرسطو قد قال إن النفس البشرية هى نفس طبيعة الآلهة أو الإله فإن ذلك يعنى

^١ Chroust, Op. Cit, P. 194.

^٢ انظر: محاوره فى الفلسفة ، شذرة ٢٧ .

^٣ انظر : محاوره فى الصلاة .

أن الأثير لا يمكن أن يكون مادة النفس البشرية ، علاوة على ذلك فإن هذا العنصر الخامس الذى لا اسم له لا يجوز أن يقال عن الأثير ¹.

ومن ثم فإنه وفقا لما ذكره أرسطو بأن الروح ليست مماثلة أو مجانسة لأى من العناصر الأولى الأربعة وبالتالي فإنها لا بد أن تكون روحانية غير مادية أى أنها يجب أن تكون لها طبيعة خاصة بها مختلفة جوهريا عن طبيعة جميع الأشياء المادية فهي ليست نار (الأثير) ، هواء ، ماء أو تراب ، كما أنها ليست خليط من هذه العناصر المادية . فهي لا تشترك بأى سبيل كان فى هذه العناصر المادية الأربعة ، كما أنها لا تشمل أى مزيج من هذه العناصر الأربعة . علاوة على ذلك فإن أرسطو قد منح النجوم والنفس البشرية المادية الخاصة التى لم يقم لها مسمى ؛ حركة مستمرة تلقائية . بمعنى حركة دائرية ومستمرة تامة بلا نهاية ². إن هذه الحركة الدائرية التى هى عمدية دليل أيضا على كمال أو سمو النفس لأنها كاملة فإن هذه الحركة الدائرية لا يمكنها أبدا أن تتغير أو تتوقف . وعلى الرغم من أن النفس لها إرادة حرة فإنها بسبب كمالها لا تزيد التخلف أو الدمار من خلال هجران حركتها الدائرية والمستمرة وبذلك تكون حركة النجوم وحركة النفس متماثلة. إن استمرارية العقل فى أنشطته الدائمة ترتبط على ما يبدو باستمرارية الحركة الدائرية للنفس ، كما أن أكمل الحركات الدائرية والمستمرة تتمثل فى مسار النجوم ، ونتيجة لحقيقة أن النفس قريبة الصلة من النجوم السماوية الإلهية ، ومن ثم فإن الطبيعة الخامسة التى يتحدث عنها أرسطو ماهى إلا طبيعة كل من الآلهة والعقول ³. أما آراء أفلاطون فى هذا الصدد والتى أكد فيها على أن النفس ذاتية الحركة وخالدة فإنه يقول : إن من يستمر فى تحريك ذاته دائما لا بد أن يكون خالدا فى حين أن الذى يحرك غيره فإنما يتحرك بغيره . وتوقف حركته هو توقف لحياته ووجوده.

¹ Chroust, Op. Cit, P. 197.

² فإن علة حركة السماء الدائرية تظل غامضة : إذ ليس جوهر النفس هو علة هذه الحركة الدائرية بل بالعرض تتحرك النفس هكذا . وليس الجسم أيضا هو هذه العلة ، بل الأولى أن تكون النفس لا الجسم ، ولم ينقل إلينا أن هذا الضرب من الحركة هو الأفضل إلا أنه يجب أن تكون العلة ، التى من أجلها جعل الإله النفس تتحرك دائريا ، هى أن يكون الأفضل لها أن تتحرك من أن تسكن ، وأن تتحرك على هذا النحو ، لا على نحو آخر .
أرسطو ، النفس ، ص ٢٣ .
انظر ، أفلاطون ، القوانين ، ص ٤٦٩ .

³ Chroust, Op. Cit, PP. 197, 198.

أما من يحرك نفسه فهو وحده الذى لا يكف عن الحركة لأنه لا يمكن أن يهمل نفسه وهو مبدأ ومصدر الحركة فى كل متحرك . والمبدأ لا يكون حادثاً لأن كل حادث يحدث بفضل مبدأ فى حين أن المبدأ لا يصدر عن شىء سابق عليه إذ لو جاز صدوره عن شىء فلن يكون هذا الشىء مبدأ له^١. وهكذا يبدو أن أفلاطون قد أدرك أنه إذا كان عليه أن يحدد السبب المطلق للتغيير والحركة فإن عليه أولاً أن يحدد من الذى أوجد أو يتمكن من إيجاد الحركة ذاتها ، وأن النفس هى ما يمكن أن يحرك ذاتها^٢. أما أرسطو فقد عبر عن مفهوم الاستمرارية وعدم الفناء بمصطلح الجوهر الفعلى ، ويمثل ذلك خاصية بارزة وترتبط بمفهوم العقلانية (المتضمنة فى مصطلح الجوهر الفعلى) على أنها الخاصة الأكثر بروزاً للنفس ، بمعنى آخر أن النفس تعيش بعد وفاة الجسد وهذا الخلود الشخصى هو أهم السمات المميزة للنفس الفردية^٣.

وإذا كان أرسطو هو أول من قال بوجود طبيعة خامسة هى طبيعة الآلهة والعقول أو النفوس البشرية على حد سواء فذلك لكى يفسر طبيعة هذه القوى التى وصفها بالإلهية ويعنى ذلك أن النفس فوق الحس كما يعنى خلودها . إن القوى العقلية للنفس البشرية متماثلة أو على الأقل مشابهة للقوى الإلهية . باختصار إن الملكات الفكرية للنفس البشرية دالة على طبيعتها المشتركة مع الإله بمعنى أنه أيا كان ما يتمتع بقوة الذاكرة والفكر والبصيرة فإن ذلك لا يأتى من الإله فقط ولكن لابد أيضاً أن يكون مماثلاً لله ، ومن ثم يجب أن تكون إلهية وبالتالي خالدة^٤.

وهكذا أوضح أرسطو نشوءها أن الأنشطة الصحيحة للنفس البشرية والعقل البشرى لا يمكن أن يكون حدوثها أو نشوئها أو أن لها أصلاً فى العناصر المادية الأربعة ولكن كما يزعم أرسطو أن هذه الأنشطة لابد وأن تكون نتاج أو تأثير عنصر مختلف من حيث طبيعته الحققة وجوهره ؛ أكثر كمالاً ونقاءً من أى عنصر من هذه العناصر الأربعة . وتتواصل آراء أرسطو لتؤكد أن النفس وأنشطة العقل هى فى الحقيقة إلهية أو روحانية ، وبسبب هذه الصفة الإلهية أو الروحانية لابد من وجود طبيعة يقينية مشتركة لله والنفس البشرية المستقلة .

^١ أفلاطون ، فايدروس ، ص ٦٩ .

^٢ Chroust, Op.cit, p.199.

^٣ Ibid, P.199.

^٤ Ibid, P.200.

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هل هذه الطبيعة الخامسة أو العنصر الخامس ماهو إلا الأثير؟ البعض ينفى أن تكون الطبيعة الخامسة المرتبطة بالروح هى الأثير ، بينما يرى البعض الآخر أن المصدر الذى اعتمد عليه شيشرون فى اقتباس الشذرة التى تتحدث عن الطبيعة الخامسة قد قام بدمج المذهب الأرسطى العنصر الخامس مع التصور الرواقى عن النار أو الأثير النارى ، ويرى بعض آخر أن هذه النار الرواقية أو الأثير النارى ليس إلا استبدال للمفهوم الأرسطى عن الأثير^١ . وهكذا فإن مفهوم تطابق النفس مع الأثير وفقا لرأى كثير من العلماء قد ظهر بعد أرسطو أى ينسب إلى الرواقيين وبمعنى أدق إنه لا ينسب إلى أرسطو . أما أصحاب الرأى القائل إن الطبيعة الخامسة أو العنصر الخامس إنما هو من الأفكار الأصلية لأرسطو وأن هذه الطبيعة هى الأثير على أغلب الظن ، والجدير بالذكر أن هذا الموضوع قد تمت مناقشته فى الأكاديمية فى حياة أفلاطون حيث كان يدور النقاش حول مسألة ما إذا كانت النفس هى الأثير^٢ .

وفى ضوء ذلك ربما لا يتم التوصل إلى اتفاق بشأن هذه القضايا ؛ لأن البعض يرى أن هناك تزييف لآراء أرسطو بإدخال بعض التصورات الرواقية عليها ، وأن أرسطو عندما يتحدث عن العنصر الخامس أو الطبيعة الخامسة ترتبط بالنفس فإنه لا يعنى بذلك الأثير وذلك لأن الأثير يبدو فى الأساس عنصر مادى بينما النفس وفقا لمفهوم أرسطو ليست مادية ، ومثل ذلك الشئ وليس به أى مزيج من أى من العناصر المادية وأن النفس تماثل الإله أو العقل ومن ثم فإنها لا يمكن أن تكون هى الأثير ، لأننا إذا علمنا أنه يوجد نوعان من الوجود ألا وهما النفس من ناحية والأشكال أو العناصر المادية التى هى الماء والتراب والهواء والنار والأثير من ناحية أخرى فإن ذلك يستبعد تماما أن يكون الأثير هو جوهر النفس^٣ .

أما إذا تساءلنا من أين استقى أرسطو معلوماته بأن النفس هى طبيعة روحانية غير مادية مشتركة جوهريا مع الإله ، وهل كانت هذه الرؤية الخاصة قد نتجت عن مناقشاته ودراساته أم أنه جمعها من مصدر آخر ؟ هناك تصور بأنه قد تلقى رؤيته غير العادية عن النفس الروحانية التى لا

¹ Ibid,P.201.

² Ibid,P.202.

³ Ibid,P.203.

اسم لها تشترك مع الاله فى الجوهر - هى مسألة غير عادية لفيلسوف يونانى - من بعض التعاليم الزرادشتية عن النفس . وإذا كانت محاوره فى الفلسفة توضح لنا أن أرسطو كان ملما ببعض المذهب الزرادشتى ، حينئذ يكون من المحتمل أن يكون هذا المذهب هو المصدر المطلق لعقيدته عن النفس¹.

¹ Ibid,P.204.

مفهوم أرسطو عن الاله فى محاورة فى الفلسفة

قدم أرسطو مجموعة من النظريات والآراء بدون ترتيب أو نظام عن وجود الاله أو تحديد الاله ، ولا ندرى إن كان يعطى مجموعة من التعريفات أو الافتراضات دون أن يتخذ رأيا أو قرارا حاسما فيما طرحه من آراء ، الأمر الذى أثار ضده حفيظة الأبيقوريين الذين كانوا على جفاء مع أرسطو وفلسفته . ومن ثم فإنه يبدو أنهم قد استغلوا الفرصة للاتقضاض على أرسطو ومهاجمته . وقد حدد فيلوس Velleius أربعة تعريفات¹ ساقها أرسطو عن الاله وانتقدها فيلوس لأنها متناقضة ، وهى أن العقل هو الاله وأن الكون هو الاله وأنه يوجد إله آخر له قوة توجيه هذا الكون والحفاظ عليه ، وأن الأثير الذى فى السماء هو الاله . وبعد ذكر هذه التعريفات الأربعة تتواصل انتقادات فيلوس لإظهار اعتراضاته فيقول فى أول اعتراض له إن أرسطو عندما عرف الاله بأنه الأثير فإنه يفقد رؤية حقيقية بأن السماوات أو الأثير هى جزء من ذلك الكون الذى زعم أرسطو فى فقرة أخرى أنه الاله . وكيف يمكن لهذا العقل الإلهى الذى يتوافق مع السماوات أن يتحمل ويبقى دائما كما هو فى السرعة التى لا يمكن تخيلها للسماوات الدوارة بشكل دائم ؟ وماذا سيحدث للعديد من النجوم الإلهية إذا كنا سنطلق على السماوات اسم الاله ؟. وعندما يؤكد أرسطو أن الاله بدون جسد مادى فإنه بالفعل يجرد الاله من كل الحواس والأحاسيس بما فى ذلك الحكمة . وكيف يكون من المحتمل أن يتحرك الكون إذا كان بلا جسد ؟ وكيف يمكن لهذا الكون أو الاله إذا كان يحرك نفسه أن يحصل على السكون الهادئ أو السعادة الحقيقية اللتان هما الصفتان المميزتان للألوهية² . إن التعريف بأن العقل هو الاله يثير عددا من المشكلات ؛ لأن أرسطو إذا كان قد عرف الاله بأنه الفكر الخالص فإن ذلك يحظى ببعض التأييد فى مؤلفاته مثل كتاب الميتافيزيقا³ ، وكذلك فى

¹ انظر شذرة ٢٦ .

² Chroust, Aristotle, 11, PP.177,178.

وتفسير ذلك ان هذا الإله غريب تماما عن العالم وليس له عليه أى تأثير مباشر ، ولا يمكنه أن يدرك الكون ويعلمه ؛ ولا يمكنه أن يتدخل فى أموره لأن الكون نشأ عنه بلا إرادة ولا قصد .

البير ريفو ، الفلسفة اليونانية ، أصولها وتطورها ، ترجمة ، د . عبد الحليم محمود ؛ د . وأبو بكر زكري ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٧٢ .

³ Aristotle, Metaphysics, PP.602,603 .

محاورة عن الصلاة عندما يقول إن الاله إما أن يكون عقلا أو شيئا ما أسمى من العقل^١ . كما يقول أيضا في محاورة دعوة للفلسفة أن العقل وحده هو الإلهي ؛ وهذا هو الجزء الوحيد الخالد بداخلنا وهو الوحيد الإلهي . ومن ثم فإن الإنسان يعد إلها إذا قورن ببقية المخلوقات^٢ . وهكذا فمن مصادر كتابات أرسطو المتنوعة يمكن استنتاج أنه قال إن الوجود المطلق أو الاله المطلق هو العقل الخالص أو الفكر الخالص ، عقل العقول . ومن ثم فإن الاله يوجد وراء الكون الإلهي ، وفي الحقيقة فيما وراء العقل البشرى^٣ .

التعريف الثانى بأن الكون هو الاله ، فإذا كان أرسطو قد أطلق على الكون اسم الاله المنظور الضخم الذى يضم الشمس والقمر وهيك الكواكب والنجوم الثابتة ، هذا التعريف لا ينسجم تماما مع التعريف السابق لله المطلق ؛ لأن الاله المطلق له القدرة على تدمير الكون (الإله المنظور) وعلى خلق كون جديد . وهكذا فإن الاله المنظور لابد أن يكون متوقفا على الاله المطلق . وقد قام بعض الفلاسفة بتحليل ذلك ، ويمكن الاستنتاج أن أرسطو كان يرى أن الاله المطلق هو خالق وقائد للكون أو الاله المنظور وحافظه ، ومن ثم لا يمكن أن يكون متآلفا معه ، علاوة على ذلك يعتقد هؤلاء الفلاسفة أن رؤية الكون (الاله المنظور) تؤدى بالبشر إلى التسليم بوجود الاله المطلق الذى هو متميز تماما عن الكون الإلهي ، وأن هذا الكون أو الاله المنظور هو فى أفضل الأحوال دليل بل أكثر الأدلة وضوحا على وجود الاله المطلق غير المنظور ، وهكذا لن يكون هناك أى تناقض إذا افترضنا أن أرسطو فى محاورة فى الفلسفة يميز بين الاله المطلق السامى - الذى هو الإله الحقيقى وبين كون إلهى أى كون خالد أزلى دائم التحرك^٤ .

د . أميرة مطر ، الفلسفة اليونانية ، ص ٢٧٤ ؛ وأيضاً : د . عبد الرحمن بدوى ، أرسطو ، ص ١٧١ ؛ البير ريفو ، المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

^١ انظر محاورة عن الصلاة .

^٢ أرسطو ، دعوة للفلسفة ، ص ٤٠ .

^٣ Chroust, Op. Cit, P. 178.

^٤ Ibid, P. 179.

التعريف الثالث بأن الاله أو الإله هو فى الحقيقة حاكم آخر على الكون الإلهى ، وتنسب إليه قوة توجيه الكون الإلهى والإبقاء على حركته من خلال نوع من التحرك العكسى^١ أثار كثيرا من المناقشات وحظى بالعديد من التفسيرات ، وربما يشير ذلك إلى مفهوم الحركة العكسية فى محاوره أفلاطون رجل الدولة^٢ أو ربما يشير إلى حركة الكواكب والنجوم وتوافقها مع الإله السامى ، وهكذا يتحكم فى حركة الكون عن طريق نوع من الحركة العكسية أو ربما يشير إلى الحركة العكسية للكواكب وعلاقتها بالنجوم الثابتة . يقول كروست إن العالم برنايز يرى أن الاله السامى هو فى الحقيقة المحرك الذى لا يتحرك فى أعمال أرسطو المذهبية^٣ . بينما يرى بيجر أن الاله الذى يخضع له العالم هو المحرك الذى لا يتحرك الذى يدبر العالم كغاية نهائية بسبب كمال فكره الخالص ، وهذه هى النواة الأصلية للميتافيزيقا الأرسطية^٤ . ويتابع بيجر قوله إنه ستظل استحالة الافتراض أنه بمقدورنا أن نقرر ما إذا كان أرسطو نفسه أو بعض أعضاء الأكاديمية أول من فكر بنظرية المحرك الذى لا يتحرك ، وطبقها على مسألة حركة الكواكب وذلك لأن طبيعة دراساتهم المشتركة تعوق أو تمنعنا من التمييز بين الجزء الخاص بكل منهم . إن فكرة النظرية الأفلاطونية ، بل يمكن القول إنه لا يمكن لهذه النظرية أن تظهر بذاتها ولكن فقط من خلال عالم الفكر الأفلاطونى، وقد استخدمها أرسطو فقط للمبدأ السامى المتميز عن العالم الذى لا يتحرك مطلقا ، أما النجوم والسموات من

^١ نستنتج مما قاله أرسطو فى كتاب السماء أنه يوجد خمسة عناصر وأن لكل نوع منها حركة خاصة مع أنه لا يوجد إلا نوعان اثنان من الحركة الأولى إلى الأمام وعكسها إلى الخلف أو كما يرى البعض أنها إلى أعلى وهى للنار والهواء وعكسها إلى أسفل للماء والتراب ، أما النوع الثانى من الحركة وهى الحركة الدائرية فلا يوجد لها عكس .

Aristotel, On The Heavens, PP.261,261 ; Jaeger , Aristotle, P.153 .

^٢ غير أن حركته هى بقدر الإمكان واحدة وفى المكان عينه ، وهى لذلك عرضة للتغيير فى الاتجاه المضاد فقط الذى هو التغيير الأقل إمكانا . مرة ثانية إن قائد كل الأشياء المتحركة يكون قادرا منفردا أن يديرها من ذاته أبديا ، أما أن يعتبر أنه يحركها فى وقت واحد فى اتجاه واحد ، وفى وقت آخر فى الاتجاه المضاد فهو تجديف . وإذا أخذنا هذا بعين الاعتبار فيجب ألا نقول إن العالم يدير نفسه إلى الأبد ولا نقول مرة ثانية أن الاله بسبب دورانه كاملا وإلى الأبد ، فى اتجاهين مضادين أو أخيرا أن الهين اثنين لديهما أغراض متناقضة جعلاه يتحرك دائريا ، لكنى كما قلت سابقا العالم يرشد فى زمن واحد بقوة الهية خارجية ويتلقى حياة جديدة وخلودا من يد المبدع المجدد ، ويتحرك مرة ثانية تلقائيا عندما يطلقه ، كونه ترك حرا فى وقت كهذا كى يمتلك حركة عكسية خلال ملايين الدورات .

أفلاطون ، رجل الدولة ، ص ١٣٠ .

^٣ Chroust, Op. Cit, P.180

^٤ Jaeger, Op. Cit, P.139.

ناحية أخرى فإنها تحرك ذاتها^١. وإن كان البعض يرى أن أرسطو لم يتحدث بوضوح عن محرك لا يتحرك أو يشير إلى كون إلهي ذاتي الحركة ، كما يؤكد البعض أن أرسطو يكشف بالمصادفة في محاوره في الفلسفة مبدأ المحرك الذي لا يتحرك ، ويوجه البعض النقد إلى هذه النظرية بأن النجوم الإلهية لا يمكنها أن تتحرك عكس طبيعتها وأن التأثير الذي يتمتع به المحرك الذي لا يتحرك على النجوم ؛ لن يكون عكس طبيعتها^٢.

وقد أسهمت هذه المناقشات والاختلافات العلمية كثيرا في فهم أفضل لتعريف أرسطو لله على أنه حاكم آخر على الكون ينسب إليه قوة توجيه تحركات الكون والمحافظة عليها عن طريق نوع ما من الحركة العكسية ، وذلك لأن النظر أو الرؤية من دورة أو مدار معين لأية دورة أو مدار آخر يبدو دائما أنها حركة عكسية ، ومن ثم توجد علاقة بين تحركات النجوم الثابتة التي هي حركة أولية وبين تحركات الكواكب التي هي بالفعل حركة ثانوية . ومن ثم فإن هناك علاقة بين تحركات النجوم الثابتة التي هي حركة أولية وتحركات الكواكب التي هي حركة ثانوية . ولذا فإن حركة الكواكب فقط يمكن أن نطلق عليها نوع من الحركة العكسية شريطة أن ترى الأخرى في علاقتها بالنجوم الثابتة وحركاتها . وهذا الإله الآخر لا يمكن أن يكون العقل الخالص أو الإله الذي يتطابق مع الكون ، هذا الحاكم الآخر مسئول عن توجيه حركة الأجرام السماوية والحفاظ عليها ، ومن ثم لابد أن يكون هذا الإله متميزا عن الكون الإلهي وكذلك عن سماوات النجوم الثابتة^٣.

¹ Ibid,P.142.

² Chroust,Op.Cit,pp.181,182.

يعرف أرسطو المحرك الأول بأنه محرك لا يتحرك أصلا ، ولا من شأنه أن يتحرك لا بالذات ولا بالعرض وإذا كان ذلك كذلك فهذا المحرك أزلي ضرورة والمتحرك عنه أيضا أزلي الحركة ، لأنه إن وجد متحركا بالقوة في حين ما عن المحرك الأزلي ، فهناك ضرورة محرك آخر أقدم من المحرك الأزلي . ويتصف هذا المحرك الأول بأنه فعل محض لأنه صورة ، والصورة هي الفعل ، وهو صورة خالصة ، فهو إذن فعل خالص أو فعل محض ، وإذا كان فعلا محضاً فلا يمكن أن يكون ماديا أو جسمانيا وذلك لأنه صورة خالصة ، ولأن كل ما هو جسماني محدود بالضرورة .
عن المحرك الأول ومواصفاته وصفاته وفعله ، انظر :

Aristotle, On the Motion of Animals, Translated by A.S.L Farquarson , in Great Book of The Western World , The Works of Aristotle, Vol,11,PP. PP.233,236; And See Also : Physics, PP.344,345,355; Metaphysics,P.532.

ابن رشد ، تلخيص ما بعد الطبيعة ، حققه وقدم له : د. عثمان أمين ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ ؛ وأيضا : د.عبد الرحمن بدوي ، أرسطو ، ص ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٠ ، د. أميرة مطر ، الفلسفة اليونانية ، ص ٢٧٣ .

³ Chroust,Op.Cit,p.183.

التعريف الرابع أن الاله هو الأثير أو الأثير الناري وذلك أن أرسطو ينظر إلى الأثير على أنه عنصر خامس بالإضافة إلى العناصر الأساسية التقليدية الأربعة . هذا العنصر يسمى الجسم الأول أو الجسم السماوى وهو شىء لا يضاهاى التراب ولا النار ولا الهواء ولا الماء ويطلق عليه الأثير وهو مصطلح مشتق من حقيقة كونه يعمل دائما من الخلود والأبدية^١ . وأن هذا العنصر يملأ العالم العلوى^٢ . ولأن هذا الأثير يوجد فوق كل العناصر المتغيرة فهو إلهى وغير قابل للتغيير فى العالم المادى الذى يتألف من العناصر المتغيرة . ونظرا لإمكانية إثبات الحياة فى كل العناصر فبعضها كائن فى التراب وآخر فى الماء والهواء والنار ، فلا بد من وجود بعض الحياة فى الأثير كذلك . وإذا كانت النجوم فى الأثير فهى أيضا أشياء حية^٣ ويقول فيلو إن الأثير ليس ذلك العنصر الذى يشكل النجوم الإلهية فقط ولكنه أيضا الجزء الأسمى من الكون الفيزيقي ، مقام الاله السامى . وإذا كان الأمر كذلك فإنه من المحتمل بل يجب التسليم بأن أرسطو قد قدم بالفعل نظرية العنصر الخامس الإلهى أثناء إقامته بالأكاديمية الأفلاطونية ، كما يبدو من المفترض أن تكون هذه النظرية قد تمت مناقشتها والموافقة عليها من بعض أعضاء الأكاديمية ، وربما من أفلاطون ذاته^٤ .

من هذه التعريفات الأربعة لله أو الإله قد نستنتج أن أرسطو قد طور بالفعل مفهومين عظيمين : مفهوم إله كونى (أو الاله المنظور) الذى هو الكون ذاته ، ومفهوم الاله السامى الذى يفوق الكون وهو نفسه العقل الخالص وربما أيضا المحرك الذى لا يتحرك . وربما يمكن القول إن الإله الكونى بالنسبة لأرسطو قد يكون تجسيدا لله أو الاله السامى المنظور . ومع ذلك فقد وجدت بعض الاعتراضات على هذه التعريفات .

١- إن إطلاق أرسطو اسم الأثير على الاله فإنه بذلك يتناسى حقيقة أن السماوات أو الأثير ماهو إلا جزء من الكون الذى نعلم أن أرسطو قد أطلق عليه اسم الاله أو الاله المنظور^٥ . كما أنه إذا كانت النجوم التى نراها موجودة بالأثير لها حياة ، فإنه تمشيا مع دقة وحركة الأثير فلا بد أن

¹ Aristotle, On The Heavens, P.361, 362 .

² Aristotle, Meteorology, P.446.

³ Jaeger, Op.cit, P. 146.

⁴ Chroust, Op.Cit, P. 184.

⁵ Ibid, P. 185.

تكون النجوم عالية الذكاء والسرعة ، ولكى نوسع من العلاقة بين العناصر والأشياء التى تعيش فيها فلا بد أن تكون العلاقة بين نوعية النجوم الفكرية وقوى الأثير الحية متوازنة مع العلاقة بين الذكاء وتكوين الإنسان من ناحية وبين مصادره الغذائية وظروف معيشتة المناخية من ناحية أخرى. لذلك فحيثما يكون الهواء نقيا ورقيقا يكون السكان أذكاء ثاقبى الفكر وسريعى التأمل عن أولئك الذين يعيشون فى وسط مناخ كثيف وثقيل ، ينطبق الشيء نفسه على آثار النور والطعام الثقيل على العقل البشرى . ونظرا لأن النجوم تعيش فى منطقة الأثير وهو أرق كل العناصر ، ونظرا لأنهم يتغذون على ما يخرج من الأرض والبحر الذى يصير فى رقة وصفاء متناهى بعد أن يتم تنقيته أثناء عبوره للفضاء ، فلا بد أن يكون للنجوم ذكاء من أعلى نوع . وإن صحة ذلك الاستدلال تؤكد أن ذلك لا يمكن أن يكون من نتائج الطبيعة المادية التى لا تسلك سلوك الكائن العاقل الواعى ، ولا تفسرها الصدفة ولذلك فلا بد أن تكون هذه الحركة المنسقة نتيجة قصد واع ونية داخلية¹ .

٢- إذا كان الاله بدون جسد مادى وبدون عناصر جسمانية فإن الاله أيضا بدون كل الحواس والأحاسيس بما فى ذلك الحكمة . فكيف يمكن أن يتحرك الكون إذا كان بدون جسد وبدون عناصر جسمانية ، فكيف يستطيع هذا الكون الإلهى إذا كان بالفعل يحرك ذاته أن يحقق الصفاء الهادئ والسعادة الحقيقية ؟ إن أرسطو يقول إن الفكر الخالص ليس أبدا هو السماوات ولا الأثير ولا النجوم الإلهية ولا الكون ، ومن ثم فإن تصوره عن الفكر الخالص لا يمكن أن يتعارض مع تصور النجوم الإلهية أو الكون الإلهى أو السماوات الإلهية . وعلى ذلك فإن حل هذه القضية يكمن فى الافتراض أن الأثير هو الاله أو الإله ، ويؤدى ذلك إلى القول إن النجوم أيضا آلهة . بمعنى آخر أن النجوم الإلهية هى الأثير وأنها تشترك فى ألوهيته الذى هو أيضا الكون المنظور . هذه المظاهر المتعددة والمتنوعة ؛ السماوات والأثير والنجوم الإلهية والكون بصفة عامة لا تتعارض مع بعضها لأنه من المسموح أن نطلق على السماوات اسم الاله أو الاله المنظور ، وفى الوقت نفسه نشير إلى النجوم أو الأثير باسم الاله المنظور ، بمعنى آخر فإن الكون المنظور كله ليس إلا هذه الأجزاء

¹ Jaeger, Op.Cit, P.149; And See Also : Chroust, Op.Cit, p.187.

الإلهية من العالم كالسموات والنجوم والأثير ، وهذه - الجوانب المرئية - هي إحدى جوانب نفس الإله السامى أو الفكر الخالص ¹.

٣- عندما يؤكد أرسطو أن بدون جسم أو عناصر جسمانية فإنه مجرد الإله من كل الحواس والأحاسيس ². بما فى ذلك الحكمة عندما يقول إن الإله هو الفكر الخالص أو العقل ، كما أن ذلك يتعارض مع القول إن الإله هو الأثير أى مادة جسمانية على نحو واضح ، وكذلك النجوم الإلهية فإنه يمكن رؤيتها ومن ثم فلا بد أنها جسمانية ، ويؤدى ذلك إلى تناقض شديد إذ كيف يخلط بين الإله السامى الذى لا يمكن رؤيته ومظاهر الإله التى يمكن رؤيتها أو الإله المنظور ³.

٤- كيف يمكن أن يتحرك الكون إذا كان بدون جسد ، وكيف إذا كان بالفعل يحرك ذاته أن يحقق الصفاء والسعادة ، وذلك مع تعدد التعريفات لله بأنه الفكر الخالص و المحرك الذى لا يتحرك، وتلك التعريفات تماثل الإله مع الكون ومع الأثير ، أى أنه جسمانى وفى حركة دائمة . فإذا كان الكون الإلهى بدون جسد فكيف يمكنه التحرك ، وإذا كان الكون الإلهى فى حركة دائمة فكيف يكون صافيا وهادئا وسعيدا ، ويمكن حل هذا الالتباس إذا وضعنا فى الاعتبار أن أرسطو قد وضع تصورين متميزين للإله ، الفكر الخالص أو المحرك الأول الذى لا يتحرك وهو غير جسمانى وهادئ تماما وسعيد كلية ، والإله المنظور (الكون الجسمانى) الذى يتحرك بصفة دائمة . إن حقيقة أن أرسطو قد أطلق على الكون الجسمانى الذى يتحرك بصفة أبدية لا تعنى مع ذلك أنه يماثل أو يخلط بين الإله المنظور والإله غير المنظور . كما يجب أن نضع فى الاعتبار أن مصطلح الإله فى الفلسفة اليونانية عادة ما يرمز بصفة مجردة إلى شىء ما ليس خاضعا لكون أو فساد عادى . وعلى ذلك فإن أرسطو يشير إلى مفهومين متميزين عن الإله أو عن الإله وهما الإله الذى لا يمكن رؤيته والإله الذى يمكن رؤيته أو مظهر الإله الذى لا يمكن رؤيته . والحقيقة أن واحدا فقط من هذين

¹ Chroust, Op. Cit, PP. 188, 189.

² يقول أفلاطون إن الإله لا يعرف كيف يفرح ولا كيف يحزن .

See : Plato, Philebus, PP. 620, 621.

³ Chroust, Op. Cit, P. 189.

التعريفين يرمز إلى الفكر الخالص ؛ هذا الفكر الخالص ربما لا يكون المحرك الذى لا يتحرك أو المحرك الأول فى أعمال أرسطو اللاحقة ، وفى جميع الاحتمالات هو الاله السامى ¹.

إن هذا الكائن السامى الإلهى الذى يعرف بالعقل الذى يحرك الكون كله وكأنه الغاية المطلقة للكون دون أن يتحرك أو يحرك ذاته . إن القول إن الفكر الخالص يمثل الاله الحقيقى لمحاورة فى الفلسفة يحظى بتأييد إضافى من محاورة أرسطو عن الصلاة عندما يوضح بجلاء أن الاله عقل بل شىء يفوق العقل K فى هذه الشذرة يعرف الاله بالعقل أى بالفكر الخالص أو عقل العقول الذى يفوق الاحساس بالفطنة أو الحكمة . بهذا الأسلوب لا يؤكد أرسطو فقط على الروحانية الخاصة لله ولكنه يؤكد أيضا أنه بأسلوب ما فإن الاله يفوق بالفعل الفكر الخالص أو العقل وكذلك الكون الإلهى والفكر البشرى ².

إن هذه التناقضات التى أظهرها فيلوس على تعريفات أرسطو لله تشير فى الحقيقة إلى اختلاف مذهبى بين أرسطو والأبيقوريين ولكنها قد تشير فى الوقت نفسه إلى عدم توافق محتمل فى فكر أرسطو عندما يطرح مفاهيم وتعريفات معينة عن الاله دون أن يتمها أو يلتزم بتعريف واحد منها . وقد يعكس عدم التوافق هذا عن اختلاف الآراء وتصارعها داخل الأكاديمية بشأن طبيعة الإله أو الاله ، ومن ثم فقد وجد الأبيقوريون الفرصة للانقضاض على أرسطو .

وفى النهاية يتضح أن أرسطو قد ذكر فى محاورة فى الفلسفة عدة تعريفات لله ولم يكن فى حاجة إلى قول الحقيقة بأنه عندما يسمى شىئا إلهيا لا يجعله بالضرورة إله وإنما كان يطلقها على أى شىء لا يخضع للفناء ، ومن ثم فإذا كان أرسطو يشير إلى الكون والاثير والنجوم على أنها إلهية أى فوق البشر ولا تخضع للفناء فإنه فى هذه الحالة يكون العقل وحده هو الاله الحقيقى الوحيد - الاله السامى بينما كل الأشياء الإلهية الأخرى وجدت لكى يظهر الاله السامى نفسه من خلالها ³.

¹ Chroust, Op. Cit, P. 190.

² Ibid, P. 191.

³ Ibid, PP. 192, 193.

obeykandi.com

ثانيا : إلى الاسكندر

To Alexander

obeykandi.com

إلى الإسكندر To Alexander

لم يبق من هذه المحاوراة إلا شذرتين إحداهما عند فلوتارخ والأخرى عند سترابو وكلتاهما تتحدث عن النصيحة التي أسداها أرسطو للإسكندر ، وقد جاءت الشذرتان على النحو التالى :

- ١ -

لم يأخذ الإسكندر بنصيحة أرسطو بأن يلعب دور القائد لليونانيين ودور السيد للأجانب (البرابرة) وأن يدعى اليونانيين كأصدقاء وأقرب وأن يعامل الأجانب كحيوانات أو نباتات ، ولهذا فقد امتلأ عهده بالحروب والبعد عن الوطن والصراعات السياسية ؛ لقد تصرف بطريقة واحدة مع الجميع^١.

- ٢ -

رفض ايراتوستينس Eratosthenes^٢ فى خاتمة تقديره أن يمدح أولئك الذين قاموا بتقسيم الجنس البشرى إلى قسمين - اليونانيين والأجانب (البرابرة) - ونصحوا الإسكندر أن يعامل اليونانيين كأصدقاء أما البرابرة فيجب معاملتهم كأعداء ، وقال إنه يجب أن نبين الفرق بين الفضيلة والرذيلة . . . لم يتجاهل الإسكندر نصائحه ، ولكنه أخذ بنصيحتهم وتصرف وفقا لها ، واضعا نصب عينيه نوايا الذين أرسلوا هذه النصائح^٣.

ويتبين من هذين الشذرتين كما يقول فلوتارخ إن الإسكندر لم يراع نصيحة أرسطو بأن يكون زعيما لليونانيين وسيدا للأجانب وأن يهتم باليونانيين كأصدقاء وأقارب وأن يعامل الأجانب كحيوانات ونباتات أى أن نصيحة أرسطو للملك الشاب أن يعامل الشعوب الأجنبية (البربرية) المهزومة كعبيد. وليس هناك غرابة فى موقف أرسطو لأنه كان وضعاً اجتماعياً سائداً وأيده أستاذه أفلاطون ،

^١ Plutarch, Moralia, IV, PP.397,399; And See Also : Ross, The Works of aristotle, XII,P.67 .

^٢ ايراتوستينس (٢٧٥-١٩٤ ق.م) تلميذ كليماخوس وبعد أن قضى عدة سنوات فى أثينا وصلته دعوة من بطليموس الثالث ليكون معلماً ملكياً ورئيساً لمكتبة الإسكندرية .

The Oxford Classical Dictionary , P.405 .

^٣ Strabo, Georgraphy, 1,PP.247,249; And See Also : Ross , Op.Cit, XII,P.67.

ولكن الإسكندر لم يأخذ بالتفرقة وكان أول من عهد لفترة وحدة الجنس البشرى الغريبة فى هذا النص أن أرسطو يوصى الإسكندر بأن يتخذ اليونانيين فقط أصدقاء له مع أن أرسطو نفسه لم يكن يونانيا خالصا وإنما هو فى الحقيقة نصف يونانى أو نصف بربرى . ولاشك أن موقف أرسطو هذا لم يشاركه فيه كل الناس وبالتأكيد لم يشاركه فيه معظم الفلاسفة^١ . ومن ثم فإنه وفقا لرواية سترابو أن ايراتوستينوس يرفض رؤية أرسطو فى تقسيم الجنس البشرى إلى يونانيين وبرابرة ولكن من مثل أرسطو قد نصح الإسكندر بأن يعامل اليونانيين كأصدقاء والبرابرة كأعداء . وإذا افترضنا أن الشذرات الباقية من محاور أرسطو " عن الملكية " هى فى واقع الأمر أجزاء من محاور " إلى الإسكندر " فلاشك أن أرسطو قد قدم النصائح للإسكندر بشأن مهام منصبه كملك وأرشده كيف ينبغي عليه أن يحكم . ولقد كان لهذه المحاور تأثير قوى على النفع للآخرين لدرجة أنه عندما كان يفشل فى أن يقدم النفع للآخرين كان يقول : اليوم لم أكن ملكا لأنى لم أقدم خيرا لأحد^٢ . ويبدو أن أرسطو قد أدرك أن نصيحته للإسكندر قد تواجه معارضة شديدة من جانب فلاسفة آخرون ونصحاء ومستشارين للملك فقد وجه نصيحة أخرى للإسكندر يخبره فيها أنه يجب على الملك أن يستمع إلى الفلاسفة الحقيقيين ويأخذ بمشورتهم ، لأنه بفعل ذلك سوف يملأ عهده بالأعمال النبيلة وليس بالكلمات الجميلة^٣ . ولذلك يجب التأكيد على أن محاوره إلى الإسكندر وكذلك " عن الملكية " كانتا نبراسا للأمراء فقد نصح الإسكندر كيف يحكم بشكل جيد وكيف يتعامل مع شعوب وأجناس وثقافات مختلفة^٤ .

ان النصين فى الشذرتين متعارضان حيث يقول فلوتارخ إن الإسكندر لم يهتم بنصيحة أرسطو بينما يقول سترابو إن الإسكندر لم يهمل نصيحة نصحاؤه ولكنه أخذ بنصيحتهم وتصرف

^١ Choust, Aristotle, II, PP 25,26 .

^٢ Ibid., II,P.26 .

^٣ Ibid., II,P.26 .

ويعلق أحد الكتاب العرب على العلاقة بين أرسطو والإسكندر بقوله : وكان أرسطاطاليس معلم الإسكندر الملك بن قليقوس بن الإسكندر المقدونى ، وبأدابه عمل فى سياسة رعيته وسيرة مملكته وانقمع به الشر فى بلاد اليونانيين وظهر الخير وفاض العدل ولأرسطاطاليس إليه رسائل كثيرة جليلة يحضه فيها على السير لحرب دارا بن دارا ملك الفرس أنظر : صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسى ، طبقات الأمم ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٣٨ .

^٤ Chroust, Op.Cit, II, P.26.

وفقا لها واضعا نصب عينيه نوايا النصحاء .ولكن يجب أن نقرر فى النهاية أن الإسكندر قد تجاهل نصيحة أرسطو سواء كان ذلك بسبب الانتهازية السياسية للإسكندر أو من حقيقة أنه فى السنوات الأخيرة قد انعدمت ثقة الإسكندر فى أرسطو ^١.

على أية حال يمكن القول إن التأثير الأفلاطونى واضح تماما فى هذه الشذرات ، خاصة الآراء التى دونها أفلاطون فى محاوره الجمهورية حيث يقول : الدولة التى يحكمها ملك فيلسوف أفضل الدول وأسعدها ، والدولة التى يحميها رجل مستبد أتعس الدول وأشقاها ^٢. وأن سعادة المدن وخلصها من شرورها وبقاءها فى أن يصير الحكم للفلاسفة ^٣. كما كانت لأفلاطون تجربة فريدة فى أن يشرف على تعليم وتثقيف ملك ليصبح ملكا فيلسوفا ، وقد قال إن الشرور لن تتوقف بالنسبة للبشر إلى أن يصبح الفلاسفة ملوكا أو يصبح الملوك فلاسفة ^٤. وقد ذكر أرسطو نفس الأفكار فى كتابه السياسة عندما تحدث عن العلاقة بين الرئيس والمروؤوس بقوله : أنه ينبغى للرجل الفاضل السياسى أن يكون له فطنة الرئيس فهى وحدها فضيلة خاصة به إذ يبدو أن الفضائل الأخرى مشتركة ضرورة بين الرؤساء والمروؤوسين ، فالمروؤوس كصانع المزمار والرئيس هو المطرب الذى يستخدم المزمار ^٥.

وتعد هذه المحاوره " إلى الإسكندر " و محاوره " عن الملكية " هديتان من أرسطو إلى تلميذه الإسكندر عندما كان وليا للعهد ووصيا على عرش مقدونيا أثناء غياب والده فيليب أو عندما استقل الإسكندر بالعرش بعد مقتل والده ، غير أن العلاقة بينهما سرعان ما أصابها الفتور وتباعد الصلة بينهما منذ أن بدأ أرسطو يسدى النصح ويذكر الإسكندر الذى كان شابا يافعا مندفعاً بأنه ينبغى عليه

^١ Chroust, Aristotle, II, p.297, n88.

^٢ أفلاطون ، " محاوره الجمهورية " المحاورات الكاملة ، ج١ ، ص ٤٤٠ ، ٤٤١ .

^٣ نفس المصدر ، ص ٢٢٨ .

^٤ Chroust, Aristotle, II, P.216 .

كان أفلاطون يبغي من تعليمه فى الأكاديمية هدفا سياسيا هو تكوين فئة من الفلاسفة المستعدين لنشر نظريات اجتماعية وسياسية فى أنحاء بلاد اليونان . وذكر فلوتارخ أن أفلاطون لم يترك لنا مجرد مذهب نظرى فى السياسة بل تعدى ذلك حين أخرج سياسيين ومشرعين أمثال ديون فى صقلية وبتون وهيراقليد فى تراقيا .

د. أميرة مطر ، الفلسفة عند اليونان ، ص ٢٨٥ .

^٥ أرسطو ، السياسيات ، ص ١٢٥ ، ١٢٧ .

أن يتأنى وأن يتصرف باعتدال ، ولكن هناك روايات أخرى تسوق أسبابا أكثر قوة ولكن ربما أقل ثقة بأن العلاقة بين الرجلين قد وصلت إلى درجة القطيعة والعداء ، فينسبون إلى أرسطو أنه حاول دس السم للإسكندر انتقاما لمقتل ابن أخته الذي أعدمه الإسكندر بينما تنسب هذه الروايات أيضا إلى الإسكندر بأن فكرة قتل أرسطو قد داعبت خياله ^١ .

^١ Chroust, Aristotle, II, PP.222,223.

obeykandi.com

ثالثا : فى الملكية

On Kingship

obeykandi.com

في الملكية On Kingship

بقى من هذه المحاوره بضع شذرات تعتمد في نقلها أساسا على ما جاء عند كل من روس وكروست .ولكن روس قد مهد للشذرات التي نقلت عن أرسطو ببعض الشذرات التمهيدية التي نقلها عن شيشرون وأمانيوس عن النصائح التي قدمها أرسطو للإسكندر ورأى ثيبومبوس في تلك النصائح.

إننى غالبا عندما أحاول توجيه نصيحة لا أجد ما أقوله ؛ لأننى فى الواقع لدى كتب كل من أرسطو وثيبومبوس ^١ الموجهة إلى الإسكندر .ولكن ما هو التماثل الموجود فيهما ؟ لقد كتبنا ما يشرفهما وفى الوقت نفسه يعد مقبولا للإسكندر ؛ هل تجد أى شىء من هذا النوع هنا ^٢ .

لا شىء يرد فى خاطرى ، إنك ترى ما كانت عليه النصيحة المرسلة إلى الإسكندر من رجلين بليغين ومتعلمين . إنهما يحثان الشاب المتوهج بالرغبة فى المجد الحقيقى بأن يسلك السلوك المشرف . إنهما يرغبان فى تقديم بعض النصائح التى تضاف إلى تمجيده الأبدى ^٣ .

تلك الأعمال عبارة عن أعمال شخصية كتبت إلى بعض الأفراد بعينهم ، على سبيل المثال مثل الخطابات أو ما كتبه أرسطو بناء على طلب الإسكندر المقدونى عن الملكية وعن الطريقة الصحيحة لإقامة المستعمرات ^٤ .

^١ ثيبومبوس الخيوسى Theopompus of Chios مؤرخ ولد حوالى سنة ٣٧٨ ق.م . تم نفيه إلى اسبرطة سنة ٣٣٤ ق.م بسبب تعاطفه مع اسبرطة ، وأعادته الإسكندر لمعارضته الاولجاركية المؤيدة لفارس . وبعد وفاة الإسكندر هرب ثيبومبوس الى مصر .

See : The Oxford Classical Dictionary, P.1059 .

^٢ Cicero, XXII, Letters to Atticus, translated by , E.O.Winstedt , Harvard University Press, London, 1993, P.83, And See Also : Ross, Op.Cit, XII, P.65 .

^٣ Ibid., P.165; And See Also : Ross, Op.Cit, XII, P.65 .

^٤ Ross, Op.Cit, XII, P.65.

كتب أرسطو أيضا إلى الإسكندر عن الملكية ، فى كتاب من مجلد واحد يرشده كيف ينبغى عليه أن يحكم^١.

حتى نعم الفائدة كل الرجال كتب أرسطو كتابا موجها إلى الإسكندر عن الملكية ، يرشده فيه كيف ينبغى عليه أن يحكم ، وكان لهذا أثره على فكر الإسكندر لدرجة أنه عندما فشل فى أن يحقق الفائدة لأى فرد ، قال : اليوم لست ملكا ، فإنى لم أفعل خيرا لأحد^٢.

كان أفلاطون رجلا ربانيا (سماويا) ومحبوبا فى كل الأمور وعلى الرغم من ذلك فقد كان متهورا جدا عندما نادى بهذه المقولة كأن الشرور لن تتوقف أبدا إلا عندما يصبح الفلاسفة حكاما، أو يصبح الملوك فلاسفة . لقد تم تنفيذ هذه المقولة ، ونالت حظها من التفسير. ينبغى علينا أن نمجد أرسطو الذى عدل كلمات أفلاطون تعديلا طفيفا وجعل توصيته أكثر صدقا . قال أرسطو إنه لم يكن فقط من غير الضروري أن يكون الملك فيلسوفا ، ولكن ، على الرغم من هذا النقص ، فإن ما يجب عليه أن يفعله هو أن يستمع إلى الفلاسفة الحقيقيين ويأخذ بنصيحتهم وبذلك يملأ حكمه بالأفعال الحميدة وليس بالكلمات الجميلة^٣.

ويبدو أن أرسطو قام بكتابة هذه المحاوراة أثناء إقامته فى مقدونيا فى الوقت الذى أوشك على إتمام تعليم الإسكندر - إذا كان أرسطو قام بالفعل بتعليمه - ويبدو أن أرسطو كتب هذا النص فى الوقت الذى قام فيه الملك فيليب بتعيين ابنه الإسكندر الذى يبلغ ستة عشر عاما وصيا على عرش مقدونيا بينما كان فيليب مشغولا بالحرب فى تراقيا والبلقان فى سنة ٣٤٠ ق.م . وقد يقودنا التخمين إلى القول إن " عن الملكية " إنما هى دعوة أو نصيحة أكثر منها محاوراة ، وأنه قد تم

^١ Ross, The Works of Aristotle, XII, P.65 .

^٢ Ibid., XII, P.65; And See Also : Chroust, Aristotlem II, P.26 .

^٣ Ibid., XII, P.66; And See Also : Chroust, Op.Cit, II, P.26 .

كتابتها بعد أن فرغ أرسطو من كتابة بروتربتيكيوس ، ويمكن أيضا أن يكون قد كتبها ليدحض بها عمل أيزوقراط " الخطب القبرصية " وذلك بحلول عام ٣٤٠ . كما أنه يمكن الافتراض أيضا أن أرسطو كان قد تخطى عن الصيغة الأدبية للمحاورة وهي الصيغة أو الصفة التي كانت مميزة لغالبية مؤلفات أرسطو المبكرة . كما أنه يمكن القول أيضا إن " عن الملكية " تشبه Mirror For Princes " مرآة للأمرء " . وفي هذا الشأن فقد واصل الخط التقليدي الذي يمكن اقتفاء أثره في عمل هزيود " الأيام والأعمال " ^١ .

إن اعتراضات أرسطو على مقولة " الملك الفيلسوف " أو تصويبه لها متوافقة تماما مع نظرية الواقعية المتزنة عن الحياة السياسية بصفة عامة وعلى المقتضيات العملية للمجتمع السياسي بصفة خاصة ، وعلى الرغم من أن أرسطو أثناء التحاقه بأفلاطون والأكاديمية (٣٦٧/٣٤٨ ق.م) فإنه بلا شك كان لا يزال معتقنا لآراء أفلاطون النظرية عن السياسة حيث يؤكد أرسطو في كتابه السياسة على أن " الحاكم الجيد لابد أن يكون إنسانا حكيما ، وفي موضع آخر يشدد على أن الحكام ينبغي أن يفيدوا أنفسهم من نصيحة الآخرين ، ويعد ذلك في نظر أفلاطون خطأ وخروجا عن النظرية الصحيحة ^٢ . وفي البروتربتيكيوس الذي يعد على شاكلة " مرآة للأمرء " (الذي كتب حوالي ٣٥٠ ق.م) أشار أرسطو إلى العلاقة بين السياسة النظرية البحتة لأفلاطون والسياسة العملية التي تأخذ في الاعتبار الظروف البشرية الحقيقية ^٣ .

إن نقد أرسطو لنظرية أفلاطون بأن الفلاسفة فقط يجب أن يكونوا ملوكا قد نشأ عن رأيه بأنه ينبغي على الحاكم الجيد أن يتفادى الأشياء المستحيلة والتي لا يمكن تطبيقها مثل تلك التي نادى بها أفلاطون في عمله عن الجمهورية لقد أعلن أرسطو خلافه مع فلسفة أفلاطون السياسية موضحا بعض سماتها غير الواقعية وغير العملية . إن دولة المدينة المثالية في نظر أفلاطون لم تعد بالنسبة

^١ Chroust, Aristotle, II, PP.216,216 .

ويقال أيضا إن كثيرا من المؤلفين الهيلينستيين الذين ناقشوا واجبات والتزامات الحاكم الواعي والمستنير ، كل هذه الدعوات قد تتضمن شذرات من محاورة أرسطو عن الملكية .

See : Chroust , Aristotle, II, P.431,n2 .

^٢ Ibid., II, P.217 .

^٣ Ibid., II, P.217.

لأرسطو هي المثال المقبول للدولة الفضلى^١. ومن ثم يتساءل أرسطو هل ينبغي للدولة التي ينبغي أن تدبر شؤونها تدبيراً جيداً أن يشترك أفرادها في كل ما يتاح الاشتراك فيه أو أن يشتركوا في بعض الأشياء دون البعض الآخر؟ فقد يتاح أن يشارك أفراد الأمة بعضهم بعضاً في الأولاد والنساء والمقتنيات، كما نص عليه أفلاطون في جمهوريته فهنا يرتئى سقراط وجوب شيوع الأولاد والنساء والأرزاق، فهل الوضع الحالي أفضل أو ما سنه الشرع المدون في الجمهورية الأفلاطونية^٢. ثم ينتقل أرسطو لمناقشة النظام السياسي الذي وصفه أفلاطون في كتاب الشرائع. وقد علق أرسطو بقوله: فينبغي أن يتخذ المرء أساساً لشرعه ما يشاء ولكن ما يستحيل^٣ على أية حال لقد اختلف أرسطو كثيراً في الرؤية السياسية مع أفلاطون سواء كان في شكل الدولة أو المدينة وطريقة الدفاع عنها وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والتربوية وذلك من منطلق أن فلسفة أفلاطون غير واقعية وأنها تخلو من أية أهمية عملية، وأن المدينة المثالية عند أفلاطون – مدينة الملك الفيلسوف – قد أقامها في فراغ تاريخي أي أن أرسطو يرى أن أفلاطون يشيد مدينته الفاضلة في نوع من الأماكن المثالية أو الخيالية^٤.

إن علاقات وتجارب أرسطو الشخصية مع بعض السياسيين الناجحين مثل فيليب المقدوني أو هرمياس ملك اترانيوس هو الذي منحه الرؤية العميقة في الحياة الساسية والاستراتيجية والدبلوماسية. وبما أن أرسطو قد أقام عند هرمياس في الفترة ما بين ٣٤٧/٣٤٨ – ٣٤٤/٣٤٥ ق.م فإنه من الطبيعي أن تتطور أفكار أرسطو السياسية لتكون أكثر واقعية، وإن هذا التحول قد تلقى المزيد من الدعم والدفع أثناء الإقامة الطويلة والعلاقة الوثيقة مع الأسرة الحاكمة المقدونية حينئذ ربما يتضح أن عمل "عن الملكية" قد كتب في حدود سنة ٣٤٠ ق.م وليس بعد ذلك بكثير أي أن أرسطو قد كتبه في العام الذي عين فيه فيليب المقدوني ابنه الإسكندر وصيا على عرش مقدونيا^٥.

^١ Chroust, Op.Cit, II, P. 218 .

^٢ أرسطو، السياسيات، ص ٤٨ .

^٣ المصدر نفسه، ص ٦٦ .

^٤ Chroust , Op.Cit, II, P.221 .

^٥ Chroust, Aristotle, II, P. 222 .

وربما كان السبب فى كتابة هذه المحاوره أو النصيحة أن أرسطو قد استشعر القلق أو الخطر من تصرفات الإسكندر الشاب الذى يعرف شخصيته وطباعه ومكانته بشكل جيد أن يعتبر نفسه الملك الفعلى ذو المعرفة الواسعة والقدرة المطلقة وأنه ملك شبيه بالآلهة الذى يضاهى أو حتى يفوق " الملك الفيلسوف " الأفلاطونى الذى أحب رأى أفلاطون هو فى الحقيقة شبيه بالإله ، وهكذا كتب أرسطو بحذر إلى الأمير الشاب الطموح أنه ليس عيبا ألا يكون الملك فيلسوفا وأن ما ينبغى على الملك هو أن يستمع إلى الفلاسفة الحقيقيين ويأخذ بمشورتهم ، وقد يكون ذلك تلميحا للإسكندر أن يعتمد على نصح وتوجيه أرسطو ^١.

^١ Ibid. II, P. 222 .